الزوجان
فى مملكة الحياة الزوجية

جمال ماضى

المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

دار المدائن للنشر والتوزيع
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

الزوجان

فى مملكة الحياة الزوجية

أولاً
صناعة الحياة الزوجية
١- أسرار التعاون بين الزوجين

*** مهمة ربانية :**

الذين ينادون بالمساواة بين المرأة والرجل ، واهمون ، لأن الله خلقهما مختلفين ، من أجل التكافل فيما بينهما ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ **والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ الليل : ٣ .

أى كما أن الليل والنهار يتكاملان كذلك الذكر والانثى ﴿ **إن سعيكم لشتى** ﴾ أى لكل منهما مهمة فى الحياة .

وتتجلى أروع صور التعاون حينما قال ﷺ : « لخديجة : « أنا أخاف أن يكون الذى يأتينى رئى من الجن » ، قالت : < إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر والله لا يخزيك الله أبداً > البخارى .

ولم يمنع رسول الله ﷺ المرأة أن تصرف على زوجها ، حينما أرادت زينب أن تنفق على زوجها وأيتام لها فقال النبى ﷺ : « أى الزنايب » قيل : امرأة عبد الله قال : « نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة » .

*** تعاون فعّال :**

* ومعنى التعاون بين الزوجين أن يتفاعل الزوجان تفاعلاً ايجابياً متوازناً فيه أخذ وعطاء بينهما ، ولكى يكون التعاون ناجحاً لابد أن يمر الإنسان بمرحلة الاستقلالية الذاتية أى لكل من الزوجين ولا يعتمد ذلك على الكلمات المعسولة أو المظهر الجذاب أو الأدب الرشيق ، ولكنه يعتمد على ثقة الزوجين ، كل بنفسه

ثم تمسكه بالمبادئ .

والنبى ﷺ كان يدفع أزواجه إلى هذا الاستقلال ففى حديث ميمونة زوج النبى ﷺ أنها أعتقت وليدة لها فقال لها : « ولو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك » البخارى ، فالقرار قرارها ، والنبى يقترح عليها مرغباً إياها .

ويتجلى هذا أيضاً فى حديث أم سلمة أم المؤمنين حينما قالت : قلت يا رسول الله هل لى من أجر فى بنى أم سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بنى ، قال : « نعم لك أجر ما أنفقت عليهم » البخارى .

*** ثقة دافعة :**

إن ثقة كل من الزوجين بنفسه ، هى التى تدفعهما فى بناء حياة زوجية طيبة ، وهذه الثقة بالنفس تتحقق بثلاث أسس :

١- الاقتناع بأن كلا من الزوجين سيد نفسه ومتحكماً فى هواه ، وليس أسيراً لنفسه أو هواه .

٢- تحديد الأهداف والأولويات المنشودة والسعى الحثيث من الزوجين لتحقيقها .

٣- مركز العلاقات بين الزوجين أو خارج البيت المبادئ التى لا تموت ولاتتغير مهما تغيرت الظروف .

بهذه الثقة الدافعة بين الزوجين تزيد القدرة على الحب والعاطفة والعمل وجنى الثمار والنضج والنفع والتعلم والمساهمة بعد ذلك فى بناء علاقات طيبة مع الناس والمجتمع ككل .

*** كيف يزيد الرصيد ؟**

إن أجمل رصيد لكل من الزوجين لدى الآخر هو الثقة وهذا الرصيد يحتاج دائماً إلى الإيداع من الصدق والأمانة والحب والعاطفة والأدب والتقدير والاحترام ، وبالرصيد العالى يتحمل

كل منهما الآخر عند خطئه أو غضبه ويتغافلان ويغفران ويصفحان ويتسامحان .

أما إن نفذ هذا الرصيد فإن العلاقة تتحول إلى حقل ألغام قد تفجره كلمة أو حركة من أحدهما وإن لم تكن مقصودة .

وهذا مثال إذا لم يتوفر رصيد بين الزوجين ، تتحول العلاقة التى يظللها الحب بينهما إلى ما يسمى : بـ(التعايش السلمى) ثم إلى (عداء صريح) ثم إلى (دفاع عن النفس مستمر) أو بمعنى آخر (الاثنان فى قفص الاتهام) .

ومظاهر هذه العلاقة : شتائم ثم إهانات ثم خصام ثم إنطواء عاطفى ثم جمود فى المشاعر ، ومع ذلك قد تستمر لعدة أسباب :

المحافظة على الأولاد أو إشباع غريزة الجنس أو الحفاظ على مظاهر العائلة .

ونتائجها : الطلاق أو الحرب فى أقسام الشرطة وأروقة المحاكم ، وللخروج من هذا المأزق الخطير يبتعد الزوجان عن كل ما يفقد رصيد الثقة أو يسحب منه ، خاصة إذا فهم أحدهما أن مهمته يأمر فقط أو يتسلط أو يهيمن !! . .

وقد ضربت أسماء بنت أبى بكر قمة الرصيد حينما أراد النبى ﷺ أن يردفها فرفضت وجاءت إلى الزبير زوجها تقول : لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال : (والله لحملك النوى كان أشد علىّ من ركوبك معه) البخارى ، وهكذا يلجأ دائماً أحد الزوجين إلى الآخر فى طرح مشاكله ومعاناته ، ولزيادة الرصيد على كل من الزوجين مراعاة التالى :

١ـ اشعار الآخر بالحب .

٢ـ الاستماع والانصات إليه بوعى .

٣ـ مخاطبة المشاعر والأحاسيس .

● الحياة الزوجية ليست الحياة الوحيدة :

ومع ذلك فالحياة الزوجية ليست الحياة الوحيدة فى المجتمعات ، بل الزوج أو الزوجة الذى ينظر إلى الحياة الزوجية كمركز الاهتمام الأوحد ، يعتبر ذلك من المساوئ ، إذا أنه يتقوقع وينعزل عن الناس ، ولا يمكن أن تستقيم الحياة الزوجية إلا إذا كان فى منظومة الحياة من الأصحاب والجيران والأقارب والزملاء .

أما إذا كانت الحياة الزوجية هى الدائرة الوحيدة فى حياة الزوجين ، فقد ينقلب ذلك إلى أن يصبح أحد الزوجين هو مركز الاهتمام الأوحد فى الحياة ، وبالتالى يعمل ذلك على محو الشخصية وعدم الاستقلال والاعتماد العاطفى على الآخر وبالتالى فكل التقلبات العاطفية تؤثر عليه سواء فى علاقته بشريك حياته الزوجية أو فى علاقاته بالناس سلباً لا إيجابا ، وإن زاد ذلك فإن أحد الزوجين يذوب فى شخصية الآخر وهذا هو الأخطر ، فيطغى أحدهما على الآخر ، مما يعرض الحياة الزوجية إلى عواقب وخيمة ، مع الزمن ، وخاصة إذا استيقظ وصحا ، فيكون كالذى مغمى عليه ثم أفاق ، أو كالمخدر ثم استيقظ فتتقلب الأحوال .

فمنظومة الحياة تستدعى التكامل ولا تنجح إلا بانتظام جميع الدوائر ، والحياة الزوجية القائمة على حب الزوجين وسعادتهما ، لا تستقيم إلا فى وجود الدوائر الأخرى ، وعدم نفى الآخر أو الانعزال عنه ، فى توازن وانسيابية حتى يستطيع الزوجان معاً أن يواجها عقبات الواقع ومشكلات الحياة ، خاصة إذا تقدم الزمن والعمر ، فالأولاد يكبرون وتكبر معهم مشاكلهم ، والحياة حبلى تقذف إلينا فى كل يوم بالجديد من الصعاب ، فكيف يواجه الزوجان واقعاً هذا صفته ، وهما بمنأى عنه ؟! أخشى أن كثيراً من

المشكلات قد يكون سببها فى ذلك !!! .

● **النجاح الحقيقى :**

مستوى النجاح فى الحياة الزوجية ليس فى الوصول بالتعاون إلى النجاح فى عمل الزوج أو الزوجة ، أو دراسة الأولاد ، أو تأمين حياة الأسرة ماليا ، إنما مستوى النجاح الحقيقى فى الحصول على ‹ السعادة › التى ترفرف فى جنبات البيت بين الزوجين ومع الأولاد ومع الدوائر المحيطة بهما ، ولذلك فإنه يحتاج إلى النظر فى الواقع بموضوعية والقناعة بالحال والرضا بالموجود ، ولذلك كان من دعائه ﷺ : « اللهم اجعل عيش آل محمد قوتاً » والقوت : ما يكفى حاجتهم دون زيادة .

ولا يمنع ذلك مراعاة الزمن وتحديد أوليات الأسرة بمعنى الاعداد لكل الأمور قبل موعدها بقدر المستطاع ، والذى تتلخص فى التالى :

١- الإعداد الجيد لكل أمر قبل موعده وتخطيط للمستقبل بوقت كاف .

٢- الاهتمام الدورى المنتظم بصحة الزوجين والأولاد .

٣- يراعى الزوجان العاجل والمهم وأن يكون من أوليات العمل .

٤- لا يتكلفا ما لا يحبا أو ما لا يقوما به ويسيران وفق الاستطاعة حتى يضمنا النجاح .

٥- أن يعلم الزوجان أن الذى يقول (نعم) لشئ فمعناه (لا) لشئ آخر ، فعليكما بالتوازن بين الحياة العائلية والعمل .

٦- أن يضعا فى وقتهما الاهتمام بالناس (الأقارب - الجيران - الأصدقاء - زملاء العمل) .

٧- المرونة مع وضع جدول سهل حمله .



٢ـ الطرق السبعة للتفاعل بين الزوجين

١ـ التركيز على مملكة الأسرة :

بتركيز الأضواء على نقطة معينة يمكن التأثير فيها وهذا هو معنى الفاعلية ، أن يركز الزوجان على مملكتهما الصغيرة ، فهذه هي منطقة النفوذ والسيطرة لهما فى العالم أجمع ، هذه هى البقعة التى لا يستطيع أحد فى الوجود أن يعبث بها ، فعليهما بالتركيز فى هذه الدائرة المملوكة لهما ، وليس معنى ذلك إهمال الدوائر الأخرى كما وضح لنا حتى لا يحدث خللاً ، ولكن بنفس التوازن المشروح مسبقاً .

فمع أن النبى ﷺ كان مشغولاً بربه فى الليل ، لا ينس عائشة ، تقول عائشة عن صلاة النبى ﷺ بالليل : < فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظى تحدث معى وإن كنت نائمة اضطجع > البخارى .

وفى موسم الحج وانشغال النبى القائد بالمسلمين تحدثنا عائشة : << خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف (مكان) حضّتُ فدخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكى قال : « مالك أنفسْت » قلت نعم ، قال : « إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضى ما يقضى الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت » قالت : وضحى رسول الله ﷺ عن نسائه بالبقر >> البخارى .

٢ـ ابدأ بالأسهل فى حل المشاكل :

هذه طريقة لإذابة المشاكل ومحق الأزمات ، ابدأ بالأسهل سواء كانت مشكلة صغيرة أو كبيرة ، واسأل دائماً نفسك ما الذى يمكننى فعله الآن ؟! وبذلك لا تكبر صغيراً أو تصغر كبيراً وهذا من أسباب المشاكل .

وتأمل ما فعله النبى ﷺ فى حله لهذه المشكلة مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، تقول عائشة أنها اشترت نُمْرُقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله ، فعرفتُ فى وجهه الكراهية ، فقلتُ : يارسول الله أتوب إلى الله وإلى رسول الله ﷺ ماذا أذنبت ؟.

فقال رسول الله ﷺ : ما بال هذه النمرقة ؟ قلت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسَّدَها فقال رسول الله ﷺ : إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم : احيوا ما خلقتم ، وقال : « إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة » البخارى .

والنبى فى وجهه الكراهية ولم يدخل من الباب وعائشة كانت سعيدة بشرائها هذه الوسادة خصيصاً لرسول الله وسألت : ماذا أذنبت ؟ ففى تصورها أنها لم تصنع خطأً أو ذنباً ؟ وبدأ النبى ﷺ بالأسهل من نقطة الوسادة ولو بدأ من نقطة عائشة لدخل فى دوائر نفسية معقدة مثل أن يقول الزوج : نعم أذنبت ؟ ألم تعرفى الجرم الذى فعلتيه ؟ ألست فى وعيك ؟ وهذا كله لا يحل بل يعقد لأنه بدأ بالنقطة الصعبة ، وهكذا كان الخطأ فى حقيقة الصور فى البيت ، فمرت السحابة كأنها البرق وعادت العواطف كما كانت ، بل ربما فى لهيب العواطف تكون صفحة جديدة من التواصل اللذيذ ، ولذلك قيل : من الذى يحول المشكلة إلى فرصة للتواصل ؟ والإجابة ابدأ بالأسهل !! .

٣- التقسيم يحل المشكلات :

قسم طريقة الحل إلى مراحل حتي تشعر بالنجاح فور أى انتهاء من مرحلة حل ، واعتبر ذلك حلاً للمشكلة ككل . من باب البشارة والتفاؤل ، بل افرح وعبر عن فرحك ، واصنع الحفلات ، وابتكر الدعوات ، كل ذلك يفتت المشكلة ، وقد ينهى على

المراحل التالية .

لقد تأملت كيف حل النبى ﷺ خلافاً بين فاطمة وزوجها على بن أبى طالب ، فقد ذهب إلى البيت ، فلم يجده ، إلا أن عليا ترك البيت فى وقت قيلولة : فقسم النبى الحل إلى مراحل **أولاً** : البحث عن على بن أبى طالب **ثانياً** : الذهاب إليه وعدم مناداته **ثالثاً** : التفكه والتبسط والضحك معه لإزابة أى انفعالات ، وربما قد حُلّت المشكلة ورجع علىّ إلى بيته ، يقول سهل بن سعد : (جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً فى البيت قال : « أين ابن عمك ؟ » قالت : كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخرج فلم يقل < نوم القيلولة > عندى) فقال ﷺ لإنسان انظر أين هو ؟ فجاء فقال : يارسول الله : هو فى المسجد راقد ، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

٤ـ الوفاء بالوعد :

حل المشاكل يقوم أساساً على عدة قواعد منها الوعد والعهد والتعهد ، فعلى الزوجين الوفاء به ليقطعا مرحلة أساسية من الحل ، تقول عائشة عن رحلة الحج : فكنت حتى نفرنا من منى فنزلنا المحصّب فدعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن فقال : « اخرج باختك الحرم فلتهل بعمرة ثم افرغا من طوافكما انتظركما ها هنا » فأتينا فى جوف الليل فقال : افرغتما ؟ قلت : نعم فنادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس ومن طاف بالبيت قبل صلاة الفجر ثم خرج موجها إلى المدينة » البخارى .

فمع تأخيرهما إلى جوف الليل والناس ينتظرون أمر النبى ﷺ لهم بالرحيل ، انتظرهما النبى ﷺ دون انفعال بل قال : افرغتما

وذلك لوعده إياهما : انتظركما هاهنا .

٥- لا تتسرع بالحكم :

الحكم دائماً آخر القضايا ، فلماذا نتسرع قبل وضوح الرؤية ، أو نتعرف على اتجاهات السير المتغيرة دائماً ، ولذلك فالحرص الحقيقى أن يكون كل من الزوجين ضوءاً هادياً ونوراً حادياً وليس قاضيا يفصل أو يحكم .

والمتأمل فى حادثة الإفك يتساءل : ماذا لو أسرع النبى ﷺ فى الحكم على أم المؤمنين عائشة ؟! ولكنه تريث واستشار أقاربه وأصحابه بالمسجد ، وأخذ يتحقق من الأمر ، حتى أنزل الله من السماء براءة عائشة ، فكان أقصى امتحان للحب ، وخرج الحب منتصراً ، وفى كل هذه الظروف كان النبى ﷺ النور السارى والضوء الهادى ولم يرتد أبداً روب القاضى الذى يحكم ، وهكذا يجب أن يكون الأزواج .

٦- لا تدخلا حلبة الصراع :

أنتما فى بيتكما ، فى عرينكما ، فى عشكما ، الكل ينظر إليكما كقدوة وأسوة واساتذة فى مجالكما فحاولا أن تكونا دائما على هذا المستوى ، فبدلاً من النقد أو اصطياد العيوب أو الوعظ والنصح الدائم ، كونا مثالاً يحتذى به ، لكما وللأسرة وللأزواج الذين تعرفونهم ، ولا تكونا فى لحظة من اللحظات متصارعين فى الحلبة أو متعاركين فى الشارع .

تقول عائشة : ما ضرب النبى ﷺ امرأة قط ولا ضرب خادماً قط ، ولاضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله عز وجل ، ولا نيل منه فانتقم من صاحبه إلا أن تنتهك محارمه فينتقم » متفق عليه .

وهكذا تحكى عائشة عن زوج . ما ضرب قط ، وما انتقم قط ،

بل يختار الأيسر ويدعو إلى التيسير ، تقول عائشة : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه » متفق عليه .

٧ـ كونا جزءاً من الحل :

هناك طريقان أمام المشكلات طريق الحل أو طريق التعقيد ولا ثالث لهما ، وطريق الحل نراه يحل العقد ، وكلما تم فك بعضها سعدنا ، وكذلك طريق المشكلة ، فتعقد الأمور وتفسد الأجواء ، وتغيم النفوس ، ويصل البعض إلى درجة اليأس الذى يعمى ويصم من أى ضوء نحو الأمل أو التفاؤل فى حل .

ولذلك يحرص كل من الزوجين أن يكون كل منهما جزءاً من الحل وليس جزءاً من المشكلة !! وهذا يحتاج إلى بصيرة ونية صالحة وحرص شديد على الحل ﴿ **إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ هذه الارادة القوية الصالحة المصلحة هى التى تعجل بتوفيق الله ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ، ويعود الوئام يرفرف فتحل المشكلة من حيث لا يحتسب المرء ، ويطير الحب وتتمكن السعادة .

وفى حديث عائشة تقول : قال لى رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى » قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : « إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين < لا ورب محمد > وإذا كنت غضبى قلت < لا ورب إبراهيم > قالت أجل والله يارسول الله : ما أهجر إلا اسمك » البخارى .

وهكذا يعلم أنها غضبى ليخفف عنها ما يغضبها ، وعائشة أم المؤمنين تؤكد أن قلبها يحب النبى ﷺ ، وما تهجر إلا الاسم فقط !! .

٣ـ سبع وصفات عملية للوقاية من المشكلات

إن كان قد تأكد لنا في الفاعلية بين الزوجين أن حل المشكلات بيد الزوجين وليس بيد غيرهما ، فإن ذلك يحتم عليهما أن يقفزا إلى الحل ، متسلحين بقوة إرادتهما معاً ، من المبادرة والذكاء ، والتي لا تتوفر إلا بالتدريب والتأهيل حتى يألفا ذلك ، وربما تكون في ذلك الوقاية من المشكلات قبل وقوعها أو التخفيف من وطأتها إذا حلت ، أرجو من الزوجين أن يجربا هذه الوصفات السبع عملياً وهي :

١ـ كف الشكوى عن عيب بعضهما :

ستر العيب مهم لتناسيه فإن خرج إلى خارج الزوجين أو خارج الأسرة أصبح الزوجان أسيرين له يلعب بهما الناس الأشرار ، ويلهو بهما الشيطان كيفما شاء ، والأمر بيد الزوجين بالصبر والتحمل والتغافل والصفح والتسامح والنسيان وعدم بث الشكوى عن عيب بعضهما ليس خارج البيت فحسب بل بين الزوجين بعضهما البعض ، ولم يكن النبي ﷺ عياباً ، فما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، بل إنه ﷺ لم يكن يجبر أحداً على طعام يحبه أو يكرهه ، عن ابن عباس اهدى إلى رسول الله ﷺ سمن واقط وضب فأكل من السمن والاقط ثم قال للضب : « ما أكلته قط فمن شاء أن يأكله فليأكله » متفق عليه فأُكل كله . .

٢ـ اعتراف الزوجين بالخطأ والعمل على اصلاحه :

وهذا نوع من الشجاعة النادرة ويقضي تماماً على خطط الشيطان ، ووساوسه ، وبه يكبر الزوجان في نظر بعضهما ، ويزداد الاحترام بينهما ، فلماذا لا يحرص الزوجان على هذا السر العظيم ، فليس الاعتراف من أجل تلقي العقاب على الخطأ ،

ولكن المحبين يساعد بعضهم بعضاً على الوصول إلى العلاج والحل والإصلاح .

وكم أخذ النبى بعائشة نحو الاصلاح ، فكانت تتقبل راضية ، بل وتحكى به كدرس تعلمته ، فقد ركبت يوما بعيراً فيه صعوبة فجعلت تردده فقال ﷺ : « إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه » مسلم ، وحينما أشارت مجرد إشارة إلى قصر امرأة أخرى فقال لها النبى ﷺ : « يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » أبو داود حسن صحيح .

وكان النبى ﷺ يقول عن نفسه « إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر » متفق عليه .

٣ـ الابتعاد تماماً عن اللوم والعتاب والاتهام :

اللوم والعتاب ثم الاتهام أجارك الله ، كلهن مدمرات للعلاقة الزوجية ، وناسفات للحياة السعيدة ، ولا يمحى أثرها على مر الأزمان والأوقات ، بل تظل محفورة يتذكرها الزوجان كلما حان وقتها ، وهى درجات تفتح على بعضها ويسلم بعضها بعضاً ، إنها غالباً ما تبدأ باللوم والعتاب وتنتهى إلى الاتهام حيث تغلق هناك النوافذ وتغلق الأبواب وتستحكم حلقات المشكلة التى صنعاها الزوجان بأيديهما فقد يكون الأمر تافهاً ولكن المشكلة ليست فى الموضوع إنما تكون فى اللوم نفسه أو الاتهام أيا كان !! .

ولنتأمل معاً قول عائشة وهى تصف هذا المشهد الطريف : كان النبى ﷺ يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان فكنت أضرب له خباءً فيصلى الصبح ثم يدخله ، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء فأذنت لها فضرب خباء فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر ، فلما أصبح النبى ﷺ رأى

الأخبية فقال : ما هذا ؟ فأخبر فقال ﷺ : « البرَّ تُردْن بهن » فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشراً من شوال » البخارى .

نجد أنه كان بمقدور النبى أن يعاتب كل واحدة وأن يلومهن على صنيعهن ، ولكنه اتخذ موقفاً عملياً بأن أجل الاعتكاف إلى شهر شوال ، بعد أن ألقى بالدرس والعبرة : « البرَّ تُردْن بهن » أى تظنون الطاعة بهذه الأخبية ، وليس الأمر إلا تسابق بينهن لإرضاء النبى وغيرة من بعضهن ، وهكذا الدرس بدلاً من اللوم والعتاب ثم إلقاء التهم ، أيها الأزواج كونوا عمليين ولا تضيعوا أوقاتكم فيما يوغر الصدور ويغلق المنافذ !!.

٤ـ عالجا ما تساهما فى حله فعلاً :

الزوجان قد يكلف كل منهما نفسه مالا يطيق ويتحمل الكثير من أجل حل لمشكلة ما ، بنية صالحة ، وحب وعاطفة ، ولكنه لا يمتلك امكانات الحل ، أو فنيات الأداء فيفشل ، وعند فشله يبدو ضعيفاً هشاً وهنالك يلقى بالسبب على الطرف الآخر ، ليخرج من دائرة الضعف ، ومن هنا تبدأ المشاكل تتنامى ويظهر نوع جديد لم يكن فى حسبانهما ، والعلاج فى الصدق لحل المشكلة وليس الاعتماد فقط على العاطفة بل الصراحة فيما عند الزوجين من امكانيات يمكن أن يساهم بها أحد الطرفين فى الحل ، وأعنى بالصدق تقديم أقصى جهد من وقت أو مال مساهمة فى الحل ، وعدم التكلف أو الاستعانة بالغير ، أو ادّعاء ماليس موجوداً ، فكل ذلك يفتح المشكلات ولا يغلق باب مشكلة ما .

وحينما استأذنت زينب رسول الله ﷺ فى أن تنفق على زوجها وأيتام لها كانت صادقة ولمس فى قولها النبى ﷺ الاستطاعة فقال : « نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة » .

وحينما جاءت هند بنت عتبة تقول للنبى ﷺ إن أبا سفيان

رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » البخارى .

ومعنى المعروف هنا : أى بقدر الحاجة دون زيادة ، وهذه حالة خاصة مع الزوج الشحيح البخيل .

٥- ابدأ بنفسك قبل الآخر :

أقول للزوج ابدأ بنفسك قبل محاسبة الزوجة ، وأقول للزوجة ابدئى بنفسك قبل محاسبة الزوج ، وذلك فى كل شئ ، فقد يتفق الزوجان على كذا وكذا ، ولكن لماذا كل عين تقع على الآخر ، وتتناسى نفسها ؟ هذا مكمن الخطر وبداية الخطأ وأول خيوط المشكلة !! ومعظم مشاكلنا يقال فيها : هو يفعل كذا ويقول كذا ، أو هى تفعل كذا وتقول كذا ، وإذا حل محلها ، أنا أفعل كذا وأقول كذا وهذا يخالف ما اتفقنا عليه فلابد أن أصلح خطئ أولاً ولابد أن ابدأ من الآن فى خطوات العلاج ، وأن أظهر بصورة جميلة وحسنة ، فماذا لو حرص الزوجان على ذلك ، جربا وانظرا ماذا يحدث ... ؟!! .

٦- الشعور بالمسئولية :

أساس كل ما نتحدث عنه (الشعور بالمسئولية) يجعله واقعاً يمشى على الأرض ، ويجعله وجوداً فى حياة الناس ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع فمسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسؤل عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » البخارى هذا هو ميزان الإسلام الدقيق ، والمسئولية أولى خطواتها (الشعور بالمسئولية) والشعور معناه ، حركة

العقل بالادراك وحركة القلب بالإحساس ، وحركة الإنسان بجوارحه ، في التعبير الصادق المؤثر ، وهى لغة خاصة ، تجعل الزوجين دائما فى قلب الحدث ، بمعنى تبادل وفهم النبضات والخلجات والكلمات واللمسات والهمسات والحركات والتضحيات والسلوكات ، كل ذلك يعمل على صناعة موقف فى الحياة ، وهو ما يعنى مواجهة معركة الحياة بالإيجابية وليس بالانسحاب أو التخاذل أو الضعف أو الخور أو الجبن ، فلماذا يهرب بعض الأزواج من المسئولية عن قصد ، ويفرحون بأن الآخر أصبح هامشاً فى البيت ، أو فى نظرهم ؟!! والأدهى من ذلك أن يصر أحد الزوجين أن يكون الآخر معدوماً ، فبا الله عليك كيف يتم التعامل مع معدوم ؟!! وإن اصبح الاثنان معدومين فكيف يتعامل معدوم مع معدوم ؟!! وكيف يكون موقف الأولاد مع من يتعاملون ؟!! ..

٧ـ الابتعاد عن السلبية (صور مرفوضة) :

نعم ... الشعور بالمسئولية معناه الابتعاد عن السلبية ! ولكن الابتعاد عن السلبية هو حرص الزوجين على أن يبتعدا عن صور السلبية التى تعصف بمسئولية الزوجين ، سواء كان فى صناعة حياتهما أو حل مشاكلهما ، ومن هذه الصور المرفوضة :

١ـ التأثر بالظروف المحيطة :

فتلهو بهما أو بأحدهما الظروف المحيطة وهى تضغط وتحاصر ، كالاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو غيرها ، والأولى الوعى بهذه الظروف ومدى ضغطها ، والوعى بظروف الزوجين داخل مملكتهما ، والانتباه والحذر من تأثرها بضغط خارجي يعصف بها أو حصار يدمرها ويفتك بها .

٢ـ التأثر بآراء الآخرين :

فتلعب بهما أو بأحدهما ، مدحاً أو ذماً ، مهما كانت صلة الآخرين بالزوجين ، والأولى صنع الحياة بيد الزوجين ، من بنات أفكارهما ومن إبداع عقلهما ، وعدم الاعتبار بالآخرين إلا ما يحقق الهدف .

٣ـ الاعتماد على الآخرين في سعادتهما :

إن اعتقد الزوجان أن مصدر سعادتهما بيد غيرهما فهما على خطأ أكبر ، لأن سعادتهما بأيديهما هما ، وليست في يد غيرهم ، بل في أيديهما معاً وليست بيد أحدهما دون الآخر ، والأولى بهما عدم إلغاء العقل والقلب والعاطفة والوجدان والمبدأ والتأكد أن سعادتهما من صنعهما أما الآخرون فلا يمتلكون شيئاً من ذلك البتة !!!

ومن فوائد الابتعاد عن السلبية بالمعنى السابق :

١ـ حل المشاكل الزوجية بيد الزوجين وليس بيد غيرهما .

٢ـ يبذلان قصارى جهدهما في انتهاز الفرص لسعادتهما ولا يقصران في ذلك .

٣ـ يوظفان كل الوسائل المتاحة للوصول إلى أهدافهما مالم تصطدم بالشرع .

٤ـ الثقة في أنفسهما لأنهما < تخطوا وتعدوا > الاعتماد على غيرهما .

❤ ❤ ❤

ثانياً
الأسرار التسعة لحياة سعيدة
ألف باء الحياة السعيدة
أو قواعد الحياة الزوجية

١- الانطلاق من الداخل :

حل مشكلات البيت من داخل البيت ، وحل المشكلات الزوجية من داخل الزوجين ، وأهم ما فى العلاقات الزوجية ما فى داخل كل منهما ، وهذه هى نقطة الانطلاق فى صناعة الحياة الزوجية واكتساب السعادة واحتواء المشكلات وإذابة جليد الزمن .

وبذلك يتحقق فى الزوجين ، العمل من أجل الحياة الطيبة فى قوله تعالى : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ النحل / ٩٧ .

٢- البدء من الصفر :

لا يتخذ أحد الزوجين موقفاً من الآخر نتيجة لخبرات سابقة أو تجارب ماضية عن الزواج ، أو مواقف قبل الزواج من أحدهما ، بل الحياة الزوجية بينهما تبدأ من الصفر .

٣- نسف القيود :

أخطر ما يمكن حدوثه فى التعامل بين الزوجين ، وضع أحدهما فى قالب معين أو نموذج ثابت ، ومن ثم الحكم عليه وبالتالى يقيد أحدهما بقيد فى التعامل من الصعب التخلص منه ، كالانفعال السريع أو الهدوء القاتل أو اللامبالاة أو .. أو .. أو .. والنصيحة هى : نسف هذه القيود وتدميرها فهى أفتك من أسلحة الدمار

الشامل .

٤ـ رؤية الواقع كما هو :

في اكتشاف الزوجين لبعضهما يجب التحرر من النظر القائم على الحكم بطريقة < كما يجب أن يكون > وهي طريقة مثالية لأنها تقوم على حكم أحد الزوجين من منظور القيم والمبادئ ، وهي طريقة حالمة تصطدم بالواقع ، وتفتح مجالاً لم يكن في الحسبان من المشاكل ، والطريقة المثلى في < رؤية الواقع كما هو > والابتعاد عن كلمات < المفترض ـ الواجب المتوقع > ، و < رؤية الواقع كما هو > تحتاج إلى ذكاء في التعامل مع الواقع بالطريقة المثلى والأسلوب الأحسن .

تروى عائشة تقول : كان يوم عيد السودان بالدرق والحراب سألت النبي ﷺ قال : « تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم : فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال : حسبك قلت : نعم قال : فاذهبي » ، فلماذا لم يقل النبي ﷺ أن عائشة من المفترض أنها أصبحت أما للمؤمنين وزوج النبي ﷺ ويجب ألا تفعل مثلما يفعلن بنات سنها ، ولكنه ﷺ تعامل مع الواقع كما هو .

٥ـ الادعاء والزعم يفشلان :

سنن الله لا تتبدل ولا تتغير ، ومن هذه السنن أن الزعم والادعاء والتوهم والتخيل ، لا يغني عن واقع الأشياء شيئاً ، ولايمكننا أن نتخطى هذه السنة الثابتة ، فمن ادعى ماليس فيه يفتضح ولو بعد حين ، ومن زعم امتلاك شئ قبل نضجه وأوانه سرعان ما يكتشف أمره ، خاصة بين الزوجين في حياتهما الخاصة ، وكثيراً ما يصاب الزوجان بالفشل أو خيبة الأمل التي تلاحق الادعاء والزعم .

ومعروف قصة بريرة وزوجها قال لها النبي ﷺ : « لو راجعته ؟ قالت : يارسول الله تأمرني ؟ قال : إنما أشفع قالت : لا حاجة لي به » رواه البخاري .

٦- الاستماع المتعاطف :

القدرة على الإصغاء الواعى ، والاستماع المتعاطف ينتجان آفاقاً من الحب والعواطف بين الزوجين ، والاستماع المتعاطف هو ابداء التعاطف من أول الحكاية والتأثر بها ، والمشاركة فى أجوائها ، والانحياز لمواقفها ، وهذا الأمر يحتاج من الزوجين إلى تدريب ، فليجرب الزوجان وإن فشلا يحاولان ، حتى يألفاه !!.

٧- التحرر من العادات السيئة :

جاذبية العادات السيئة التى كانت بمنأى عن الحياة الزوجية تظهر وتلوح فى الأفق ، مع انها ليست من صناعة الحياة الزوجية ، وتطل برأسها فى الأيام الأولى عن غير قصد ، ولا ينفع معها الإخفاء أو ادعاء عكسها ، ولذلك فلا طريق لقطع هذه الجواذب إلا بالمصارحة المتزنة والعمل الايجابى فى مساعدة الزوجين لبعضهما على حلها ، وقد تكون هذه العادات فى الملبس أو النظام أو الطعام أو الانفعالات أو غير ذلك مما يُصطدم به الزوجان ، ويشترط فى المصارحة نية الإصلاح إن استطاعا أو التحمل للاستمرار .

٨- السماء لا تمطر مودة ورحمة :

الزوجان فى أيامهما الأولى خرجا من دائرة الاعتماد الكامل على الآخرين سواء كانوا الآباء أو الأمهات أو الاساتذة إلى مرحلة جديدة ، فيها الاستقلال الذاتى لكل منهما ، والتعبير عن شخصية كل منهما للآخر ، ولا ينفع فيها أن يذوب أو يسيطر أحدهما على الآخر فسرعان ما يتكشف أمرهما ، ولكن

عليهما من أول لحظة إرساء مبدأ (التكامل والتعاون) فى بناء حياة جديدة ، وهذه طبيعة خلق الزوج مع الزوجة فى بيت واحد ﴿ **خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ ، فقد يغيب هذا المعنى عن الكثير ظاناً بأن السكن والحب والمودة والرحمة ، تقذف من السماء ، أو تمطرها السماء على الحياة الزوجية دون جهد من الزوجين ، وتضحية وتعاون وتكامل فى صنع هذه الحياة من السعادة والهناء والحب والسكن .

لقد بلغ الحب من رسول الله ﷺ لعائشة إلى أنه يتحمل ألمها فإذا قالت : وارأساه قال النبى ﷺ : « بل أنا وارأساه » .

وكانت نعم الزوجة التى تقف بجوار زوجها فى مرضه تقول عائشة : تعلمت الطب من كثرة أمراض رسول الله ﷺ وما يُنْعت له .

٩ـ المرونة من لباقة الزوجين :

فى مجال التعاون والتكافل بين الزوجين ، لابد من التعامل بالمرونة ، وعدم طلب المستحيل من أحدهما للآخر ، لأنه لابد من وجود فروق بين الزوجين ، وهذه من طبيعة الأشياء لمؤثرات ثلاثة :

الأول : المؤثرات الجينية : فى الطول والجمال واللون والكلام ، وفى السلوك كالانطواء أو العصبية أو الهدوء .

الثانى : المؤثرات التربوية : من البيت أو المدرسة أو طريقة التعليم أو الجامعة أو الأصدقاء أو العمل .

الثالث : المؤثرات البيئية : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

والذى نقصده من المرونة مراعاة ذلك باحترام هذه الفروق والايمان بطبيعتها ، والتعامل معها بالأسلوب الذى يحقق

الهدف ، فلا يحتقرها أو يهمشها أو يعايرها ، وهذا بعض من التعامل بالمرونة ، وغير ذلك كثير يرجع إلى لباقة وذوق الزوجين .

ومن هنا يعلمان السر فى التعامل مع بعضهما ، فكيف تمتص الانفعالات ومتى ؟ ومعرفة مواطن السرور والحزن وكيفية التعامل معها !! والتنبؤ بردود الأفعال وكيفية استقبالها ثم توجيهها كفرصة للسعادة والهناء !!.

وتأمل معى هذا المشهد قال النبى ﷺ : « ما أنا بداخل عليهن < أزواجه > شهراً » من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة : يارسول الله إنك قد كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدُها عداً فقال : « الشهر تسع وعشرون ليلة » فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة ، قالت عائشة ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأنى أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن ، فقلن مثل ما قالت عائشة » البخارى .

هل تأملت معى كيف استقبلت عائشة رسول الله بعد هذا الغياب الذى كانت تعدُّه عدّا ، بهذا الدلال وبتلك المداعبة ، التى مسحت الغياب ومحت المعاناة !!!

ألا تتفق معى أن المرونة من لباقة الزوجين إذن !

❤ ❤ ❤

ثالثاً
كيف يجعل الزوجان الحياة أياماً جميلة ؟

الحياة الزوجية هى أفضل وأحسن استثمار فى الوجود ، وهو الاستثمار الوحيد المضمون ، والذى يؤدى إلى تقوية العلاقات ونموها بين الزوجين ، وبقدر ما يودع فى الأيام الأولى يستثمر مع الزمن ، ويعود بالفوائد الجمة على الزوجين ، ونلخص ما يمكنك وضعه فى الرصيد بالتالى :

١ - فهم الزوجين لبعضهما

ما أروع أن يسعى كل من الزوجين إلى فهم الآخر قبل أن يطلب منه ذلك !! سيكون الأثر قويا فى النفس والروح !! وهذا أمر سهل وميسور إنه بفتح القلوب ومودة العيون وإصغاء الأسماع ، إنه بحسن الاهتمام وصدق التعاطف وجميل المشاعر ، إنه فى التعبير عن ذلك كله فى انسيابية وحرية وسهولة ، وباللمسة والهمسة والعناق والقبلة والأحضان والكلمة والبسمة .

إن كثيراً من الأزواج يفقدون هذه الحياة الرائعة وللأسف من أول لحظة ! لماذا ؟ ، حينما يستقبل أحدهما أقوال الآخر أو فعله أو حتى صمته بالنصائح والوعظ لإظهار خبراتهم وتجاربهم السابقة والتى هى غير معلومة لأحدهما ، فقبل الإخبار بحقيقة ما فى المشاعر يكون الاستقبال بهذه الكلمات الصعبة (لقد مررت بنفس التجربة) (نصيحتى هى) (أنصحك بكذا وكذا) ، دون أن يكمل الآخر أو يبدى ما يريد أن يفعله !! .

فالساعى إلى فهم الآخر عليه تلمس الظروف التى مر بها الآخر ، والاستماع بمشاعره والتعاطف لما يقول والاهتمام بوجدانه

وإحساسه ، وإبداء تأثره ، وينسى الزوجان جانبا تجاربهما وخبراتهما السابقة .

أما أن يصغى أحد الزوجين للآخر ليرد عليه ، أو يحضر نفسه للرد ، أو يقاطع كلامه حتى لا ينسى ما تذكره ، أو يتجاهله أصلا ، أو يصغى إليه شكلا وهو فى الحقيقة مشغول عنه ، إما بالنظر بعيدا عنه أو النظر إلى شئ آخر ، أو يصغى دون عمق وفهم ، أو حتى بفهم دون تعاطف ، وهذا هو مربط الفرس ، كما يقولون ، إن أحد الزوجين يريد التعاطف وبحب ، وبذلك يمكنهما من أول لحظة الابحار فى نهر الحب الصافى ويتناسيان المشكلة !! بدلاً من الاستجواب وطلبات الإحاطة والوعظ والنصائح والبيانات القوية والخطب الرنانة !!.

ومن فوائد أن يفهم الزوجان بعضهما :

١- رصيد عاطفي يستثمر جيداً .

٢- ثقة متبادلة بين الزوجين .

٣- يصبح كل منهما المحل الأول لمشاكل الآخر .

٤- تشجيع الزوجين على حل مشاكلهما بنفسهما .

٥- إنشاء جو حالم من الحب يرفع المعنويات ويخفف من الأزمات ويقوى الحالة النفسية فى مواجهة الصعاب .

٦- التعاون والتعايش فمن الصعب أن يتحققا دون فهم بين الزوجين .

ولقد رأيت كل هذه الفوائد ترفرف ، فى مشهد من أجمل مشاهد الدنيا ، والنبى ﷺ قائم على فخذ عائشة ، وقد بلغ بينهما الفهم أقصاه ، فهو يعلم ماذا يصنع ، وهى تعلم ماذا تعطى له من الحب والحنان ، تقول عائشة : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش -

انقطع عقد لى فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء .

فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء ! .

فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام ، فقال : احبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء .

فقالت عائشة : وعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى .

فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا .

فقال أسيد بن خضير : ما هى لأول بركتكم يا آل أبى بكر ، قالت : فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته » البخارى .

هل تأملت الناس وهم يتهمون عائشة بأنها ضيعت الوقت وليسوا على ماء ؟ .

هل تأملت أبا بكر وهو يزجر وينهى ويعاتب ويضرب ؟ .

هل تأملت عائشة وهى فى مشهد الزوجين المتفاهمين فالزوج بحث عن عقدها واستراح على فخذها ؟ .

هل تأملت رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فلم ينهر عائشة أو قال لها أنت السبب ؟ .

هل تأملت عائشة والسماء تؤازرها فنزلت آية التيمم وانتهت مشكلة الماء المعدوم ؟ .

هل تأملت عائشة وقد وجدت العقد المفقود ؟.

فالناس لا يفهمونها ولا أبو بكر يفهمها وإنما الذى يفهمها هو زوجها فقط رسول الله ﷺ .

أيها الأزواج افهموا بعضكم حيث لا زجر ولا نهر ولاسب ولا لعن ولا عتاب ولا اتهام ولا طعن بل حب ومودة وحنان وسكن وأمان ، وبالفهم بين الزوجين يظللهما الله برحمة ومودة

سهرت أعين ونامت عيـون في شئون تكون أو لا تكون
إن رباً كفاك بالأمس ما كان سيكفيك في غدٍ ما يكون

٢ـ حِرْص الزوجين أن يكون الطرف الآخر هو الناجح دائماً

شعور الإنسان بالفوز والنجاح وحوزه السبق الدائم ليس دليلاً على ضعف الطرف الآخر أو هزيمته أو خسارته ولذلك لو حرص الزوجان على هذه الروح ، فإنهما يتسابقان ودائماً إلى هدف جميل وغرض نبيل ، يجعلهما يجريان فى ماء واحد ، ويتحركان فى دم واحد ، فيمتزجان فى أجمل صورة وينصهران فى أبهى معنى .

وشعور الإنسان بالنجاح يجعله ولاشك سعيداً ، ولكن بشرط أن يفوز الزوجان معاً ليسعدا معاً ، وأن ينجح الزوجان معاً ، فليس بين الزوجين خاسر أو فائز ، لأن الاثنين يسعيان لفوزالآخر ونجاحه ، ولا يسعى أحدهما لنجاحه هو أو فوزه على الآخر ، وإلا خسر الطرف الآخر ، الذى هو أحب الناس إليه لأنه الشريك لحياته ولروحه وربما يسأل الزوجان ما الذى نحتاج إليه لتحقيق ذلك فى الواقع ؟! أنحتاج إلى الحب الذى يقال أنه يصنع المعجزات ؟ أنحتاج إلى الزمن الذى يقال أنه جزء

من العلاج ؟ أنحتاج إلى أن نكون معاً فى القمة فهى تسع الزوجين معاً فى بيت الزوجية وليس لأحدهما فقط ؟ والإجابة نعم يحتاج الزوجان إلى كل ذلك !!!.

وتأمل معى على هذا الحرص عند رسول الله ﷺ روى مسلم عن جابر قوله : كان النبى ﷺ رجلا سهلا إذا هَوِيتْ - يعنى عائشة رضى الله عنها - الشئ تابعها عليه » .

والمعنى كان رجلاً سهلا .. أى سهل الخلق كريم الشمائل لطيفا ميسرا ، < إذا هويت الشئ تابعها عليه > ، معناه إذا رغبت فيما هو جائز من الشرع لم يمانعها وإنما أجابها إليه ، أى بالمعنى الدارج كان النبى ﷺ على هوى عائشة ، إنه الحرص من الزوج أن تكون الزوجة دائما هى الناجحة هى الفائزة وكذلك حرص الزوجة !! والله أى حياة زوجية سعيدة هى تلك ؟!! .

وعائشة رضى الله عنها تحرص على ذلك فتدلل النبى ﷺ على أناقته وجمال ملبسه فتقول : إن النبى ﷺ لبس بردة سوداء فقالت عائشة : ما أحسنها عليك يشرب بياضك سوادها وسوادها بياضك > رواه أحمد

٣ـ حرص الزوجين على التكامل فيما بينهما

كما تبين مسبقاً أن التجارب والخبرات السابقة تختلف بين الزوجين ، للوصول إلى منظومة واحدة ، لابد من أن يحرصا على التكامل فيما بينهما ، ولن تنجح الحياة الزوجية إلا بذلك ، ومثال ذلك : زوج + زوجة = ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، بالأبناء ، فليس بامكان كل واحد أن ينجب بمفرده !!.

وللحرص على التكامل بين الزوجين لابد من فتح الباب دائماً

على مصراعيه لا توصده آراء مسبقة ، أو وجهات نظر من خارج الحياة الزوجية ، أو حكم مسبق على أحدهما أو تعصب لأحدهما لرأى معين ، والحرص الدائم عند أى اختلاف للوصول إلى مساحة مشتركة ، فهو الحل المتفق عليه من الطرفين ، فقد يكون أفضل من رأيهما أو يختلف مع رأيهما ، حتى وإن بدا أقل من رأى أحدهما ، فهو الحل المتفق عليه ، وبذلك يبدد الاختلاف بالتكامل .

وللوصول إلى التكامل هناك عدة خطوات ، نجملها فى التالى :

١ـ الاعتقاد بالاختلافات العقلية والعاطفية والنفسية بين الزوجين ، يجعلهما لا يحددان الحياة من خلال أحدهما فقط ، بل الاثنان معاً لأن الصواب والخطأ واردان ، وبالمناقشة بحب وإخلاص يصلان إلى التفاهم قبل الرفض أو القبول .

٢ـ إن كلا من الزوجين من حقه أن يرى العالم من منظوره كما تظهره له حواسه وكما يفسره له عقله وتوضحه تجاربه ، وبدلاً من وصد الأبواب يمكن الاستفادة بين الزوجين من تجاربهما .

٣ـ لن يكون الزوجان أبداً متماثلان فى الآراء والمواهب والقدرات والساعى إلى ذلك هو ساع إلى المستحيل ، ولذلك فالنظر من خلال منظار الأبيض والأسود أو الصواب والخطأ عفى عليه الزمن وأصبح اليوم من منظار الألوان الطبيعية .

٤ـ إشعار الزوجين بالممارسة والتطبيق وأنهما يعبران عن الرأى دون خوف أو رهبة يقوى الثقة والتعاون بينهما .

٥ـ الإحساس بأنهما فى قارب واحد وأن المشكلة مشكلتهما معاً ، يقوى التكامل ، وبالتالى تقوى لديهما الرغبة فى التغلب على أى معوقات داخلية بالتغافل والتغافر لبعضهما ، وأن

السعادة هما شريكان فى صناعتها .

٦ـ عدم اليأس من المحاولة تلو المحاولة ، والإصرار على الحل يؤدى إلى الحل ، والحماس والعمل المستمر هما الطريق إلى حل أى مشكلة ، وكل ذلك يؤدى إلى التكامل بين الزوجين .

لقد حرص النبى ﷺ على أصطحاب زوجته عائشة فى الحرب ، حتى تعيش مع النبى ﷺ جو التكامل ، يحكى أنس عن يوم أحد قائلا : ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهماتنفزان القرب على متونهما تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغا به فى أفواه القوم < المصابين > » البخارى .

وكان أيضاً حرص النبى ﷺ مع أشغاله الكثيرة أن يكون فى البيت زوجاً عادياً ، عندما سأل الأسود عائشة : كيف كان رسول الله ﷺ يصنع فى أهله ؟ قالت : كان فى مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام فصلى » رواه البخارى .

وفى رواية الإمام أحمد تقول عائشة : كان يعمل كعمل أحدكم فى بيته ! يخيط ثوبه ويخصف نعله » .

فإن كانت الزوجة جوادة سخية فلها أن تتفق مع زوجها على الانفاق فكما قال النبى ﷺ : « كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب » ، فإن لم يكن بأمره والاتفاق معه فقد روى البخارى عن أبى هريرة قول النبى ﷺ « إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فله نصف أجره » البخارى .

٤ــ أن يكون كل من الزوجين ملهماً للآخر

البعض يتصور أن هذا العنوان فضفاضاً وليس له نصيب من واقع الحياة الزوجية ! ولكننى بعد أن ذقت حلاوته وعلمت قيمته

فى الحياة وفى الواقع من زوجتى الحبيبة ، أردت أن يسعد الجميع به كما أسعد به فى حياتى ، ولكى لا نذهب بعيداً نختصر الإلهام فى ثلاثة طرق :

(أ) سحر المشاعر :

● وأعنى به أن يشجع الزوجان بعضهما البعض لأقل ايجابية من الآخر ، (فالطعام منك أجمل الأطعمة والثياب من أشيك الثياب ، والهدايا ما أروعها ، العطر ما أطيبه ، ونظام البيت فى الترتيب ليس له مثيل ، وحل الزوج لمشاكل العمل دليل حكمته وحنكته وخبرته ، واسلوبه فى الحياة الأسلوب الأمثل ، اختيار أحدهما حاز كل الميزات) .

● وأعنى به الدفع الدائم إلى الأمام برفع المعنويات ، (فهذه خطوة رائعة نحو الحل ، وفى المحاولة القادمة يكون النجاح ، لم يسبق لأحد أن ابتكر هذا الابداع) ولا ترفع المعنويات بالكلمات بل بالتيسير أيضاً والقبول والموافقة وعدم المخالفة أو إظهار الرفض من أجل الرفض والعصيان واثبات الاعتراض .

● وأعنى به أيضاً أن يساعد الزوجان بعضهما على تحمل المسئولية ، وأنهما جديران بها ، فكم من زوجات تحملن المسئولية كاملة عن أزواجهن ، فكسل الأزواج عن العمل أو العطاء ، أو العكس بأن يقوم الزوج بالمسئولية عن زوجته فكانت النتيجة أنها عجزت في حال سفره أو غيابه عن أى عمل !! .

● وأعنى به أيضاً تقدير القدرات والمواهب والامكانات وتفجير الطاقات ، وتقديم أقصى ما يمكن إعطاؤه من أحد الطرفين وهذا فن جميل ، السعى فى تحقيقه من الزوجين معاً وليس مسئولية أحدهما فقط ، وهو لا يحتاج إلى بذل مجهود ضخم إنها الكلمات المتفائلة والصالحة والمساعدة الخفية من مدح أو اطراء

أو كلمات دلال على المواهب والقدرات التى تدفع إلى العمل ، وتدعو إلى الثبات ، والمضى قدماً إلى الأمام مهما كانت التضحيات . ولعلك تأملت عائشة وهى تمدح أناقة النبى ﷺ حينما ارتدى بردة سوداء فقالت : ‹ ما أحسن بردتك يشرب بياضك سوادها ، وسوادها بياضك › رواه أحمد .

ولعل الأزواج قد وقفوا معى مشدوهين فيما رواه مسلم عن جابر : كان النبى ﷺ رجلا سهلا إذا هَوِيَت - يعنى عائشة - الشئ تابعها عليه » . .

وكم كانت كلمات أم المؤمنين خديجة والنبى ﷺ فى أول الوحى وقد استبد به الخوف ‹ إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر والله لا يخزيك الله أبداً › .

(ب) ثقة القلوب :

- وأقصد بها أن تتغلغل الثقة حتى تملأ شغاف القلوب ، وضمير الضمائر ، فيثق الزوج فى زوجته ثقة لا تهتز ، وكذلك الزوجة فى زوجها ، تنهار أمام هذه الثقة ألاعيب الشيطان ، وأفعال الشامتين ، وحركات الحاسدين ، وشرور الحاقدين .
- وهى ثقة قلوب لأنها صادقة تسبقها أنوار القلوب ، فلا تحتاج إلى كلمات لتأكيدها ، ولاعبارات لتوثيقها ، لأنها تدخل إلى القلب مباشرة .
- ولأنها صادقة ومن القلب فإنها تزيد من رصيد الثقة عند كل من الزوجين ، ويزيد الإيداع ، وبالتالى تنهال الاستثمارات اليومية .
- وبهذه الثقة القلبية يبتعد الزوجان عن تصنيف بعضها ، ثم التعامل وفق هذا التصنيف سلباً أو ايجاباً ، لأنه القيد الذى أوقف الكثير من العلاقات الحميمة ، وأحدث شللاً من الصعوبة النجاة

منه .

● ويحرص الزوجان على إظهار هذه الثقة ، وعدم مسها منهما بأى طائف من شيطان ، مر رجلان من الأنصار برسول الله ﷺ على باب المسجد ومعه صفية زوجته فسلما فقال لهما : « على رسلكما إنما هى صفية بنت حيى » فقالا : سبحان الله يارسول الله وكبُر عليهما فقال النبى ﷺ : « إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً » البخارى وبهذه الثقة تفرح الزوجة لنجاح زوجها وتغلبه على مشاكله ، وتشاركه انفعالاته ، تقول عائشة : إن رسول الله ﷺ دخل مسروراً تبرق أسارير وجهه ، فقال : ألم تسمعى ما قاله المدلجى لزيد وأسامة ورأى أقدامهما « إن بعض هذه الأقدام من بعض » ، والقصة : (إن المدلجى الذى يعرف النسب عن طريق الأقدام ، حسم الأمر ، وذلك لطعن فى نسب أسامة ، فقد كان أسوداً وزيد أبيضاً) .

فإذا أراد الزوجان الانطلاق فلا سبيل إلا بثقة القلوب !

(ج) نظرة الرضا :

العين تقع على المساوئ وتكبر الصغير من العيب ، ولكنها إن كانت نظرة رضا تكون على العكس ، فإن كان هناك عيب فلسان الحال يقول : كم من الحسنات أرادها وما يعجبنى أعظم من هذا العيب الصغير ، فحينما تتجه العين إلى أحد الزوجين بنظرة الرضا تختفى العيوب ، بل ويترجم الكلام الحال : (كم فيكم من مواهب ، وكم تمتلكون قدرات نادرة ، وما رأت عينى امكانات مثل الذى عندكم) بهذه الكلمات يشعر كل من الزوجين بعضهما بأنه يمتلك القدرات والمواهب فينطلق نشيطا بدلاً من ذكر عيب يقعده عن الحركة !! بعد أن يؤذى النفس ويظلم

الوقت ، ويحزن القلب !!!.

عن أنس قال النبى ﷺ : « يعجبنى الفأل الصالح والفأل الصالح الكلمة الحسنة » .

ويقول الشافعى :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

فحياتنا الزوجية نحن الذين نصنعها ، فمن شاء جعلها تطهيراً ورضا وإلهاماً ودفعاً وانتاجاً ، ومن شاء جعلها سخطاً وهلاكاً .

(د) عملات صعبة فى رصيدك ببنك الحب :

١ـ الاهتمام :

من الاهتمام بين الزوجين ، الاهتمام باهتمامات الآخر ، ولكل من الزوجين اهتماماته التى تناسب سنه وثقافته وبيئته ومستوى تعليمه ، وبقدر ما يكون احترام الزوجين لاهتمامات بعضها ، وتقدير هذه الاهتمامات يكبر الرصيد المخزون فى بنك الحب ، ربما يكون الشئ صغيراً فى نظر أحدهما ولكنه كبير إذا كان من اهتماماته ، والاهتمامات قد تكون ثقافية أو أدبية أو شعرية أو فنية أو رياضية أو علمية أو تقنية حديثة مثل الكمبيوتر والنت أو غيرها كثير .

وليس معنى الاهتمام ولو بالاهتمامات الصغيرة أو بأشيائه الصغيرة أن تكون مخالفة للمبادئ أو مجانبة للصواب أو مما ننهى عنه الدين ، بزعم تحقيق الاهتمام وهذا أمر بدهى ومدرك ومفهوم .

والتعبير عن الاهتمام بأشياء الآخر ولو كانت صغيرة يكون بالكلمة المشجعة أو اللمسة الحانية أو السماح بالفعل أو بالمشاركة أو بأى فعل يحقق الهدف ويراه الزوجان صالحاً .

تقول عائشة : وقف رسول الله ﷺ على باب حجرتى والجيش يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ ، فقمت أنظر إليهم فقام يسترنى بردائه حتى انصرفت أنا من قبل نفسى فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو > متفق عليه .

هكذا لخصت عائشة الاهتمام ولو بالأشياء الصغيرة ومراعاة خصائص المرحلة العمرية !! .

٢- الوضوح :

الوضوح يقطع الكثير من المسافات ، ويقرب المساحات ، ويبدد ليل التردد ، وتنجلى به الحقائق ، ويوطد الثقة ، كل ذلك الرصيد وأكثر من ثمار هذه العملة ، أليست فعلا عملة صعبة ، تزيد الرصيد ، ويشتد بها الحب . .

وما يزال الوضوح بالزوجين حتى تزداد سعادتهما ، وما أجمل أن يوضح كل من الزوجين حتى توقعاتهما من بعضهما !! من كثرة ما أصبحا الاثنان مع بعضهما صفحة بيضاء ، فربما توقع شيئاً أو عملاً أو فعلاً من الآخر فيراه كفلق الصبح وما ذلك إلا بالوضوح .

وقد مر قول النبى ﷺ لعائشة : « إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى » .

قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك فقال :

« أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم قالت أجل والله يارسول ما أهجر إلا اسمك » البخارى .

٣- الصدق :

ونعنى به تحديداً الصدق فى الوعد وانجاز العهد ، وهذا ما يقلق غيابه الزوجان ، فيألفا الإخلاف فى الوعود ، وخيانة

العهود ، مما يفتح سيلا من المشاكل ، وعاصفة من المصاعب ، تحتاج إلى زمن حتى تهدأ ، فيبدأ الزوجان التفكير من جديد فى أسلوب حياتهما ، وطريقة معيشتهما .

ونعنى بالصدق صدق الحال ، وعدم التكلف ، والتحلى بفضيلة ليس من أهلها ، وتأمل معى حديث أسماء : إن امرأة قالت يارسول الله إن لى ضرة فهل علىّ جناح إن تشبّعت من زوجى غير الذى يعطينى ، فقال رسول الله ﷺ : « المتشبع بمالم يُعط كلابس ثوبى زور » البخارى . .

والمعنى كما قال الزمخشرى : على معنيين أحدهما المتكلف إسرافاً فى الأكل وزيادة على الشبع حين يمتلئ ، والثانى المتشبه بالشبعان وليس به ، وبهذا المعنى الثانى استعير للمتحلى بفضيلة لم ترزق وليس من أهلها .

٤ـ الشفافية :

● الاستقامة والنزاهة وجهان لعملة الشفافية ، وهى أن يكون السر كالعلانية ، والجهر كالخفاء ، فالزوجان مرآة بعضهما ، سواء كان فى الأمور النفسية أو العاطفية أو المالية أو الصحية أو الحياتية أو المعيشية ، أو فى مواجهة الشدائد أو فى اجتياز العقبات ، أو الوقوع فى المشكلات .

● والاستقامة هى التعامل وفق الايمان والتقوى وما يمليه الضمير الحى ، والنزاهة هى العفاف والعفة والورع ، فهما يؤديان معاً إلى حفظ الزوجين لبعضهما ، وحرصهما علي بعضهما فى حال الإقامة أو الغياب ، وفى القرب أو الابتعاد ، لأن كليهما حاضر فى ضمير الآخر ووجدانه ، وحى فى قلبه وعقله ، ولذلك كانت إجابة النبى ﷺ عندما سأله الرجل : من أحب الناس إليك ؟ قال عائشة ، فقال الرجل : أعنى من الرجال . فماذا قال النبى قال :

أبوها ، فهل نسى اسم أبى بكر ، أم أنه متعلق بعائشة لدرجة أنه نسب أبا بكر إليها ، وهكذا ينطق اللسان بما فى الجنان !! .

٥ـ الاعتذار :

كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، الرجاعون عن الخطأ ، باخلاص يشعر به القلب ، وبصدق يحس به الوجدان ، فسحب التشاحن وغيوم الخصام يبددها الاعتذار الجميل ، الذى كله اخلاص وحب .

فيا خسارة أزواج ضيعوا الأيام والليالى فى هجران ثم لما عاد الوئام إليهما ، أخذا يضحكان من قلة عقلهما وصغار فعلهما ، وندما على وقت أهدراه سدى ومتع حرما روحهما من التلذذ بها ، ولذات أضاعا الأنس بوقتها ، وانفعالات أكلت وشربت من صحتهما كانا عنها فى غنى ، وأحزنت زمانا كان الأولى أن يكون وقت هناء وسعادة وسرور .

❤ ❤ ❤

رابعاً
الزوجان فى مواجهة معارك الحياة

● **الحياة معارك :**

نقصد بها أن يعيش الإنسان جو المعركة فيتجهز ويتهيئ ويقوم بإعداد نفسه ليواجه سنن الحياة التى لا تتبدل ولا تتغير ، وإلا أصبح هملاً فى الحياة ، يبحر فى بحر الأمانى ، فما حقق هدفا ولا سعى لغاية ، لأنه يقف فى عداد الكسالى ، فى ميدان سباق لا يعترف إلا بمن سعى ودافع وغالب وواجه ونافس وسارع ، وكذلك الزوجان فى معارك الحياة !! فما عليهما إذن فعله حتى يحققا هذه الصورة المنشودة ؟!! .

يا أزواج اليوم .. نعم أسمع لسان حالكم يقول : (معارك الحياة أصبحت غلابة ، ولا تتوانى فى صراعنا ، وكلما انتصرنا حاصرتنا بما لم يكن فى الحسبان) ، وأجد قلبى يحدثنى هامساً : وما الجديد فى ذلك ؟! أليس هذا هو حال الدنيا ؟! ولكن يبقى السؤال : جيل الصحابة والصحابيات الذين رباهم النبى ﷺ كيف واجهوها فانتصروا عليها ؟!! وكيف غالبوها فغلبوها ؟! . . . أرى إن الأمر يحتاج إلى ثلاثة أمور مهمة : إلى قوة نفسية لا تعرف الشك ، وإلى إرادة قوية لا تعرف التردد ، وعمل متواصل وحركة دائبة لا تعرف الكسل أو التوانى .

١ـ قوة نفسية لا تعرف الشك

روى مسلم أن رجلا سأل عبد الله بن عمرو بن العاص : ألست من فقراء المهاجرين ؟ فقال عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال :نعم قال : فأنت من الأغنياء، قال : فإن لى خادماً ! قال : فأنت من الملوك .

ولذلك اخترت عنوان الكتاب : (الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية) فأقل تعبير للزوجين أنهما ملك وملكة ، سيد القصر وسيدة القصر ، رب الأسرة وربة البيت ، رئيس العائلة والسيدة الأولى ، وللإنسان أن يخلع من الألقاب المشابهة ما شاء له ، فلن يعبر بحال عما فيه الزوجان فى مملكتهما !! .

أيها الملكان إنما تنبع القوة النفسية من داخلنا وكذلك الآفات التى تأكل فينا هذه القوة .

● **فمن هذه الآفات الخوف :**

وكما قيل : (من خاف الفقر افتقر ، ومن خاف الذل ذل) وكم من بيوت بدأت فقيرة فأغناها الله من فضله ، حين امتلكت ‹ القوة النفسية › فواجه الزوجان الحياة بلا خوف ولا وجل ولا فزع .

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى

وما الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

يقول تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ آل عمران / ١٧٣ .

● **ومن هذه الآفات الشك والريبة والقلق ، وهى علامات الهزائم فى معارك الحياة :**

ولإزالة وتفتيت ومحق هذا القلق يمتلك الزوجان سلاح الرضا مما يعطيهما طمأنينة عجيبة ، روى الإمام أحمد قول النبى ﷺ : « ارضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

سهرت أعين ونامت عيون

فى شئون تكون أو لا تكون

إن ربا كـفـاك بالأمس مـا كـان
سـيكفـيك فى غـد مـا يكون

هذا الشعور بالغنى سرعان ما يتحول إلى حقيقة فى الحياة وإلى ثراء لم يكن فى حسبان الزوجين ، وليس الرضا بالمعنى السلبى بالقعود عن التشمير والعمل بزعم الرضا !! وإنما الرضا الذى يحقق غنى النفس ، وهى النقطة الصحيحة التى يبدأ منها الزوجان طريقهما بالاعتماد على أنفسهما ثم الانطلاق .

● **ومن الآفات : اليأس والقنوط وما يصاحبهما من كآبة الأحوال وكسوف البال وقلة الحيلة :**

فيرفع الزوجان راية الاستسلام حتى يصبحا أسيرين للهم والحزن والعجز والكسل والكآبة والاضطراب ثم يصل بهما الحال إلى أن يصبحا من الأموات التى تعيش فى المجتمع :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

● **ومن الآفات : الوقوف عند زلات القدم وفلتات الطباع ، وهفوات اللسان ، وصغائر الأفعال :**

والحب بين الزوجين ، يبدد ذلك كله بالتسامح الكريم :

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذى تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه

وبين الزوجين صداقة وزمالة واحدة ، أخص من كل علاقة ، ثم إنهما فى نهاية الأمر بشر لا ملائكة ، فمن العقل التجاوز

والتغافر :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

● ومن الآفات : **برود التعاطف ومقابلة المباهج بشعور محايد بزعم الاعتدال** ، من الزوجين ، وهذا مع مرور الوقت يدعو إلى التراخى والترهل ، وحمل أثقال كالجبال من الهموم التى تقعدهما عن القيام ناهيك عن الحركة ، وكان النبى ﷺ يسلم على أهل بيته إذا دخل واعتبر ذلك من البركة ، وكان يقبل عائشة ويبرق وجهه من السرور ، ويعمل فى البيت فى خدمة أهل البيت ، ويسابقها وتسابقه ، وتصاحبه فى أسفاره ، وتمشط شعره وهو معتكف بالمسجد .

● ومن الآفات : **الضعف فى مواجهة الابتلاءات ، والتسليم أمام الشدائد ، والانسحاب وقت الصعاب والمشكلات ، والاستجابة لداعى الشيطان** ، وللأسف هذا ما يأخذ الزوجين فى علاقتهما إلى ذبول ، وإلى هشيم تذروه الرياح ، فتكسر الحياة الزوجية ، وتستحصد لتلقى فى القمامة ، والنبى ﷺ شبه المؤمن بالزرع فإن أتت عليه الريح يميل معها ، وكذلك المؤمن تصيبه الابتلاءات ، أما الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد ، فإنها لصلابتها لا تميل بل تكسر عند أول ريح وربما لم يكن عاصفاً ، ثم ترمى ولا قيمة لها ، وكذلك أرى الزوجين المؤمنين يميلان مع المحن والشدائد والمشاكل فتمر الأزمات ويبقى الزوجان عودان أخضران فى حيوية وحياة ، روى الأمام البخارى قول النبى ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد » .

● **ومن الآفات : انغلاق أحد الزوجين فى حدود مطالبه الخاصة** : فيتحمس لها ، وتشتد مشاعره بها ، ويلح فى قضائها ، ويصبح كل همه السعى وراءها ، وبذلك تفقد الحياة الزوجية الحيوية ، والمشاعر الواحدة ..

والعلاج في الانصهار والامتزاج وإحسان الحب والايثار العاطفى فى سبيل الآخر ، وهذه الحكمة والفقه فى التعامل هو العلم الحقيقى بالحب وتطبيقاته ، وهو هبة من الله لمن أحسن وصدق ، يقول تعالى عن يوسف : ﴿ **ولما بلغ أشده أتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين** ﴾ يوسف : ٢٢ وكان السر فى التفاف زملائه بالسجن حوله لما رأوه فيه من نجدة وخلق وتفانى وانصهار فى خدمتهم وأخلاق وصدق مع ربه فى قولهم : ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ .

وكذلك الزوجان منهما الحب ومن الله الحكمة والتوفيق .

٢ـ إرادة قوية لا تعرف التردد

● عدو الحياة الزوجية التردد ، فهو يأكل الايمان من القلوب ، والسوس الذى يقضى على الجرأة في النفوس ، وكان النبى ﷺ فى حياته لا يعرف التردد ، فبعد أن أشار الشباب بالرأى بالخروج إلى موقعة أحد لمقابلة العدو ، ونزل النبى ﷺ عن رأيه لرأى الشباب ، حيث كان يرى المكث فى المدينة ، هنالك تراجع الشباب عن رأيهم ، ولكن النبى ﷺ لم يتردد قائلا لهم ولنا ولكل زوجين :
« ما كان لنبى أن يلبس لأمته ‹ سلاحه › ثم يرجع ، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » ...

وهكذا لا تصنع الحياة إلا بالعزم والمضى قدما

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عـزيمة
فـإن فـسـاد الرأى أن تترددا

لقوله تعالى : ﴿ **وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ آل عمران : ١٥٩ .

وفى حياة الزوجين كم من فرص ضاعت ، وكم من أحوال تبدلت ، وكم من أوقات أهدرت ، والسبب فى ذلك يرجع إلى التردد !!

● والارادة القوية لا توجد ولا تتمكن فى الأزواج إلا بالعمل بها وتحقيقها ، فالأحلام تموت إن لم نغذيها بالعمل ، وكم من أمانى جميلة ومستقبل مشرق رسمه الأزواج فلما واجهوه بالكسل والتراخى ماتت حتى أقبرت .

قال أبو سعيد : دخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم فإذا برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة فقال : يا أبا أمامة مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت الصلاة ، قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله قال : « أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك » ، قلت بلى يا رسول الله ، قال : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » ففعلت فأذهب الله همى وقضى عنى دينى ، رواه أبو داود .

هل يظل أبو أمامة تاركا بيته وزوجته ويقيم بالمسجد ينعى همومه ويتحسر على ديونه !! أم يخرج بإرادة قوية ، لا تعرف العجز والكسل ، ولا تعرف البخل والجبن ، ولا الحزن والهم ، ولا غلبة الدين وقهر الرجال ، انتشله النبى ﷺ إلى ميدان العمل (يقول أبو أمامة : ففعلت) فخرج من ضيق النفس وضعف الارادة إلى قوة دافعة .

وهكذا التربية الفائقة تربى الإرادة القوية بالعمل ، يقول أحد

التابعين : كنا نستعين على حفظ أحاديث رسول الله ﷺ بالعمل بها .

● والإرادة القوية لا تتمكن فى الأزواج إلا باستقلالية كل واحد منهما ، وذاتية كل واحد منهما وحرية كل واحد منهما ، وعدم الذوبان أو الميوعة ، حتى يساعد كل منهما الآخر فى تكوين إرادة واحدة قوية ، فإن الطباع يسرق بعضها بعضاً ، ولذلك يقول ﷺ : « لا يكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم » الترمذى .

وهذا أمر مفهوم للزوجين ، وبالتالى لا تمضى إساءة أبداً دائمة ، بل الحسنى تستمر ، وهذا أكمل صور التعاون والتكامل بين الزوجين حيث لا تردد ، ولا اضطراب ولا ذوبان ولا ميوعة ولا كسل ، وإنما إرادة قوية تنهض بهما إلى العمل والحركة .

٣ـ حركة دائبة لا تعرف التوانى

فإن وجدت القوة النفسية والإرادة القوية ، توج ذلك بالحركة الدائبة والعمل المتواصل ، فى استمرار أجمل حياة فى الوجود ، ومن ملامح هذا الاستمرار ستة ملامح هى :

١ـ الليونة :

فى قوله ﷺ : « المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإذا أنيخ على صخرة استناخ » رواه البيهقى والحديث حسن .

صورة رائعة لمعنى الليونة من الزوجين ، إن قيد أحدهما انقاد للآخر فى حب دافق ، وإذا انيخ على مشكلة كالصخرة استناخ فى رحمة تنساب .

٢ـ الخدمة :

اليد على اليد ، والخطوة بالخطوة ، والتسابق بالخدمة ، هو عمل الزوجين الدائب ، سئلت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان في مهنة أهله ـ يعني في خدمة أهله » رواه البخاري .

ولك أن تتصور ما كان يفعله حتى أن عائشة في رواية أخرى تقول : « كان يخيط ثوبه ويخصف نعله » رواه أحمد .

٣ـ التصافح :

العفو هو التغافل عن خطأ موجود ، والصفح إزالة أثر الخطأ تماماً من النفس والقلب ، فالتصافح مصافاة ، يقول تعالى : ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ الحجر / ٨٥ الذى ليس له رجعة أو أثر .

٤ـ الوداعة :

بالكلمة الطيبة والنبرة الهادئة والبسمة الحانية واللمسة الدافئة ، في وجه الغضب فتفتته ، وأمام الهياج فتبدده ، عن عائشة قول النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » متفق عليه .

٥ـ الكرم :

الشح : كم مزق علاقات ، وكم زرع عداوات نسفت بالبيوت ، وباتت تهدد حياة الأزواج ، يقول تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ التغابن : ١٦ ، وهي وصية للزوجين من رسول الله ﷺ : تقول أسماء قال لي : رسول الله ﷺ : « ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا توعى فيوعى الله عليك » متفق عليه ..

والزوج الكريم موعود بالجنة في الآخرة وكذلك الزوجة ، سعادة في الدنيا والآخرة .

٦ـ السلوك :

أن يكون الزوجان ترجمة حية للمبادئ ، وتتحول الأقوال إلى أفعال ، حتى تصير سلوكا دائما ، هذا هو المقصود بالسلوك ، حتى يصير الأزواج والأولاد قرة الأعين فى الحياة ، وتصير الأسرة قدوة للمجتمع وللناس جميعاً ، ومن ثم كان دعاء عباد الرحمن الذين حققوا بسلوكهم هذه الصورة الرائعة فى قوله تعالى : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة واجعلنا للمتقين إماما** ﴾ الفرقان / ٧٤ .

مثال عملى للانتصار فى معارك الحياة

فى معارك الحياة ، ومعترك الأيام والليالى ، وتصريفات الأقدار ، تظهر معادن الأزواج ، فماذا بعد أن تسلحوا بالقوة النفسية والإرادة القوية والعمل الدائب ، إنها المواجهة والدخول فى جو المعركة ، إنه النزال والمبارزة ، فكيف يكون الانتصار لقد رسم النبى ﷺ صورة مشرقة لنساء قريش وسر انتصارهن فى الحياة ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نساء قريش خير نساء ركبن الإبل ، أحناه على طفل ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » البخارى ، فوجدت أن هاتين الدعامتين هما سر الانتصار ، للأزواج والزوجات معاً ، الحنان على الأطفال ، ورعاية الأزواج فى ذات اليد ، فما معنى ذلك ؟ .

١ـ الحنان على الأطفال :

الحنان الحقيقى هو النابع من الحب ، وهو النابع من الرحمة وهو الممزوج بالشفقة ، وهو المخلوط بالحرص ، ويؤدى ذلك إلى أمرين : الأول خاص بالزوج فى اطمئنانه على أولاده ، بوضع أساس مكين من الحنان ، وهو أصل التربية الفائقة ، والثانى : خاص بالأولاد فإنهم يكبرون وتكبر معهم الرحمة والحب والشفقة والحرص ، مما

يؤدى إلى بناء بيت متميز فى المجتمع وكان النبى ﷺ تتأسى به البيوت فى ذلك يقول البراء : رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه يقول : « اللهم إنى أحبه فأحبه » .

● وحناناً من الأمهات كن يحرصن على طاعة أولادهم فيعودونهم على الصيام منذ الصغر تقول الربيع بنت معوذ : (فكنا نصومه - يوم عاشوراء - ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار) البخارى .

● وحناناً من الأمهات كن يحرمن أنفسهن من الطعام من أجل أولادهن شفقة عليهم ، تروى عائشة عن امرأة جاءت تسأل تحمل ابنتين فأعطتها تمرة فقسمتها بينهما فى حنان وشفقة ولم تأكل منها شيئاً .

● وحناناً من النبى ﷺ للأمهات كيف تخالط الأولاد وتنزل إلى مستواهم وتتفهم حاجاتهم وتداعبهن ، يحكى أنس بن مالك قائلاً :

كان رسول الله ﷺ يخالطنا ويغشانا وكان معنا صبى يقال له : أبو عمير فقال له رسول : « يا أبا عمير ما فعل النغير - طائر كان يلعب به - » البخارى .

٢- رعاية الزوج فى ذات يده :

الرضا بالحال ، وبقسمة الله تعالى ، ومهما كان مستوى الزوج ، فعلى الزوجة رعايته ، على كافة المستويات ، رعايته نفسيا ، وروحياً ، وعاطفياً واجتماعياً ، واقتصاديا ، وقد مر بنا صور من رعاية أم المؤمنين عائشة لرسول الله ﷺ ، وكذلك صور من رعاية أم المؤمنين خديجة لرسول الله ﷺ خاصة فى بداية الدعوة والجهر بها .

● والزوجة الصالحة تسعد بقوت زوجها وتدفعه برفق إليه ، ولا تعتمد على عطايا من الناس أو صدقات أو مساعدات مهما كانت صور تقديمها ، ولذلك قالوا : (أسعد الناس من له قوت داره بقدر الكفاية لا من متن الناس وقد قنع به) .

حسبى من الدهر ما كفانى
يصون عرضى عن الهوان
مخافة أن يقول قوم
فضل فلان على فلان

● ومن أجل صور الرعاية للزوج النظر إليه بعين الرحمة فى حال انفعالاته ، وترقب الزوجة تصريف القدر لزوجها ، وتتوج على لعب الطبع به ، فإذا به عند انتباهه يندم على ما جرى ، ويعرف للزوجة فضل الصبر عليه .

وأقل شئ بأن تسلمه فيما يفعل فى غضبه إلى ما يستريح به ، فتتركه يستشفى بما يقول ولا تأبه على ذلك ، فيعود نادماً معتذراً فليس من الحكمة مواجهة الغضب بغضب ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة » الترمذى : حسن ، أى هذا الدور ليس لعام أو أعوام وإنما الزوجة الصالحة بهذا السلوك المستمر تثبت عليه حتى الممات .

❤ ❤ ❤

خامساً
آداب الحياة الزوجية

● سيدة الزوجات عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلق النبى ﷺ ، قالت : « كان خلقه القرآن » ، واعتبر النبى ﷺ ومكارم الأخلاق فى مجموعها هى محاسن الآداب ، وهو ما أطلق عليه القرآن الكريم : الخلق العظيم فى قوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ، يقول الواسطى : (الخلق العظيم ألا يخاصم ولا يُخاصم) ، حيث ترفرف فى البيوت أجنحة الأمان والسلام والحب ، ويقول الجنيد : اجتمع فيه أربعة أشياء (آداب) : (السخاء والألفة والنصيحة والشفقة) .

● وقد وضع الفضيل ميزاناً جميلاً لكل الآداب فى الحياة الزوجية فقال : (تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع له) .

وما أروع حياة الزوجين حينما ينتهى كل شئ بينهما عند صخرة الحق ، فى هذه الصور الجميلة : صورة خضوع وانقياد وتقبل وسماع ، فالخضوع والانقياد للحق ، الذى هو خير ميزان ، والتقبل والسماع مم قاله من أحد الزوجين ، وانطلاقاً من هذا الميزان ، لا ترى فى حياة الزوجين إلا قبول بعضها لبعض ، بالموافقة والتعاطف والانحياز والرضا .

● وبهذه الآداب يخرج الزوج من بيته وقد تجهز بروح عجيبة فى تعاملاته مع المجتمع ، بشرائحه المختلفة ، أجملها يوسف بن أسباط فى قوله : (أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيته خيراً منك) وبذلك تفتح الأبواب والقلوب بما يعود على البيت بالهناء والاستقرار .

● **وهذه جملة من محاسن الآداب من الزوجين نجملها فى نقاط ، وأراها تتحرك بين الزوجين عملياً ، ومهمتنا أن نذكر بها كعنوان ، أما محتواها فهى حياة كل زوجين على حدة ، يصنعاها من حبهما وشعورهما ويتحركان بها بقلبيهما وروحهما ، فى مملكتهما النادرة فى هذا الوجود :**

● **فمن الآداب < النفس العالية > فى تعامل الزوجين :** فكلاهما يصغر نفسه مع الآخر ، وكلاهما يعظم الآخر حباً وتقديراً واحتراماً ، وكلاهما يسبق الآخر فى قبول النصيحة دون تردد أو تلكؤ أو ريبة ، وكلاهما يرضى بمنزلة دون ما يستحقه ، فكلاهما صاحب نفس عالية .

● **ومن الأدب الشوق واللهفة ، فكلاهما مفتون بالآخر :** لا يرى شيئاً سواه ، ولا يستريح إلا إليه ، وهذه موهبة المحبين ، فهو لا يغيب عنه لحظة ، فشوق التلاقى أشد من شوق الغائب لأن كليهما بطلب فى اللقاء المزيد والإفضال ، الذى هو ثمرة احتراق الوجدان ، ولهيب القلوب ، من بُعد بَعْد هذا القرب .

تقول عائشة : فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فأخذنى ما يأخذ النساء ظناً منى أنه عند بعض أزواجه فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده ، فوجدته فى المسجد ساجداً ، كالثوب الخلق وهو يقول فى سجوده : « سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى وأقر بك لسانى وها أنا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم » .

● **ومن الأدب أن تكون للزوج خلوة بالبيت ليس فيها إلا الليونة والتبسم والضحك ،** سئلت عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا فى البيت ؟ قالت : « كان ألين الناس بسّاماً ضحّاكاً » ، فما أحوج بيوتنا إلى هذه الخلوة الحسنة فى

زحمة الحياة ، وتراكم الأعمال ، واختلاط الأزمات ، وتأملاً معى هذه المشهد النبوى ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قال : إن عائشة رضى الله عنها قالت : أتيت النبى ﷺ بحريرة طبختها وقلت لسودة والنبى ﷺ بينى وبينها ، كلى فأبت ، فقلت لها : كلى فأبت ، فقلت : لتأكلن أو لألطخن بها وجهك فأبت ، فوضعت يدى فى الحريرة فلطخت بها وجهها فضحك النبى ﷺ فوضع فخذه وقال لسودة : الطخى وجهها فلطخت بها وجهى فضحك النبى ﷺ ، فمر عمر على الباب ينادى : يا عبد الله يا عبد الله ، فظن النبى ﷺ أنه سيدخل فقال : « قوما فاغسلا وجهيكما » .

● **ومن الأدب القيام بالخدمة** والتلذذ فى أدائها واحتمال كل مكروه فى سبيل تحقيقها ، وهذا ما قصده عبد الله بن المبارك بقوله : (أدب الخدمة أعز من الخدمة) فليس الأمر بتحقيق الخدمة بل فى طريقة تقديمها ، وأسلوب أدائها والحرص على قضائها ، واللذة بعملها ، ومن هنا يتقبلها الله تعالى من الزوجين يقول أنس بن مالك : الأدب فى العمل علامة قبول العمل .

فليست العبرة بالخدمة وإنما بأدب تقديمها ، سواء كانت كلمة أو لمسة أو بسمة أو همسة أو أو أو . . فالقول كالبذر يقع فى الأرض ، فإن كان صالحاً كان بالحق ومن الحق للحق ، وكذلك كل حركة من أحد الزوجين ، وهو يخدم شريكه .

● **ومن الأدب المسـاررة** ، فلا يُرفعُ صوت أو كثرة ضحك أو كثرة كلام إلا فى حال الانبساط . وبالمساررة تختفى غلظة الخطاب ، ويحل محله الدلال والمناداة بأحسن وأحب وأشوق الأسماء كما كان ينادى النبى ﷺ عائشة بقوله : « عائش» .

وبالمساررة يكون الأنس بالحبيب وهو انبساط المحب إلى

المحبوب ، وهو محادثة الأرواح مع المحبوب فى لقاءات القرب .

● **ومن الأدب الانصهار** ، فلا ملك خاص لأحدهما ، فيدهما يد واحدة فى كل شئ ، يستعمل كل منهما من الآخر ما يشاء ، وهذا هو صدق الحب ، فتنخلع الصفات فتصير صفة واحدة فى الاثنين ، حتى يكاد كل منهما يقول : (أرى بعينك وتسمع بأذنى) ولا يكونان إلا فى بدن واحد : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ :

أنا من هوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

● **ومن الأدب الملازمة والحرص عليها فى كل الأوقات** : فى الراحة وفى العمل وفى الفراش وفى الذهاب والإياب ، فلا تسمع إلا (لبيك) و (نعم) و (حاضر) دون أسئلة : لماذا ؟ وأين ؟ ولم ؟ وما السبب ؟ وليس معنى ذلك الذوبان والميوعة وإنما الحب والشوق والوصال ، فالوصال للحبيب معناه الاستمرار فى كل وقت معه ، وهو حركة قلوب ، انشغالا بالحبيب ، ورجوعاً إليه .

ومن أحسن صور الملازمة أن يحرص كل منهما على أن يكون تبعاً للآخر ، ولا يطمع فى أن يكون تبعاً له ، وكل ما يفعله الآخر معك فهو كثير وعظيم ، وكل ما تفعله أنت معه قليل ومتواضع ، هنالك يكون الوصال الجميل ، الذى يبدأ بالملازمة وآدابها .

● **ومن الأدب الرضا عن أى فعل يفعله الحبيب** ولهذا الأدب حلاوة ، وفى فعله لذة ، وكما قيل : (وكل ما يفعل المحبوب محبوب) .

ولا يحتج أحد بقوله : حتى لو كان فى الأمر مخالفة ؟ وهذا

بالطبع بعيد عن مجالسنا ، فهذا الأدب خاص بالفعال الطبيعية فى الحياة اليومية ، لأن استقبالها بالوعظ أو اللوم أو العتاب ، تضطرب له النفوس وإن لم تتكلم الألسن ، ولا حاجة لزوجين يصغيان السعادة إلى لحظة قلق أو اضطراب ! بل كيف يصبر الزوجان عن بعضهما فى هذه اللحظة التى خرجت من زمان السعادة ؟!! وقد فسر أحدهم « المرء مع من أحب » أنهما يتحركان فى معية واحدة فكيف يفترقان ؟ وهذا هو روح الحب .

● **ومن الأدب مراعاة الخطرات** ، وذلك فى كل الأمور ، صغيرها وكبيرها ، فإن كره شيئاً لا يُسْتحقر ، وإن لم يتفوه به ، وإن أظهر الحب لحلمه أو وقاره أو خلقه ، فقسمات الوجوه تتكلم بلغة أبلغ من اللسان وكان النبى ﷺ إذا كره شيئاً رأوه فى وجهه ، وكذلك إذا أحب شيئاً فلا يُستهان به أو تُعْرض مثالبه ، وإن تفوه بالقبول ، فنبرات الصوت تحمل ما فى الخطرات وتعبر عما فى المشاعر .

ومن أجمل ما فى هذا الأدب ألا يكون هناك حديث أو تحادث إلا حال الفراغ والاستعداد والاستماع والتشوق ، فيبعد عن الملل والمشقة والعنت وهذا من التوفيق والسداد إصابة الهدف . والنجاح فى تحقيق ذلك أن ينظر الزوجان لمراعاة الخطرات إلى قلبيهما ، فيخرج التعبير وتنطلق العاطفة وتجيش العواطف من نهر القلب الصادق ، وبالتالى لايكتم أحدهما عن الآخر شيئاً سواء كان رأياً أو شعوراً أو قولاً أو حالاً أو فعالاً حتى خبيئة النفس وخائنة العين .

● **ومن الأدب أن يتحقق من الزوجين هذا العنوان الجميل** : **(حبيبى من أكون معه كما أكون وحدى)** وهو جامع لكل

الآداب ولكنه يظهر واضحاً فى مواطن معينة : فيظهر هذا الأدب فى أن كلاً منهما يحرص على حماية خلوة الآخر بربه ويشجعه على ذلك ، ويحترم وقته فى خلوته ، فيجيان معاً الاسترواح الحقيقى ، وبذلك ينتقلان من راحة إلى راحة ، وهذا هو الرحيل الحقيقى إلى راحتهما ، كما كان حاله ﷺ مع زوجاته وهو مع ربه .

■ ويظهر هذا الأدب فى التزام التبسط والرفق ،والأنس وعدم التكلف أو التصنع وعدم الاعتبار بالمطالبة بتعظيم أو تبجيل أو غير ذلك من أحدهما للآخر .

■ ويظهر هذا الأدب بحفظ السر وعدم إذاعته لأن إذاعة الأسرار من ضيق الصدور ومظهر من مظاهر الضعف وخفة العقل .

■ ويظهر هذا الأدب فى ذكر أحدهما الآخر بالخير خاصة فى غيابه ، قيل لبعضهم وكانت زوجته يعلم منها ما يكره فكان يقال له استخباراً عن حالها فيقول : لا ينبغى للرجل أن يقول فى أهله إلا خيراً .

■ ويظهر هذا الأدب فى التنزه عن مال بعضهما ، فلا ينظر أحدهما بالتفحص والبحث فى مال الآخر ، إلا بارادته وعزيمته وطلبه .

■ ويظهر هذا الأدب فى مراعاة الأحوال المختلفة من حزن ومرض وضائقة ومحنة بدءاً من التألم ثم الخدمة وانتهاءً بالملازمة والمؤانسة والمحاسنة حتى تسترد العافية وتزول المحنة ويختفى الحزن .

■ ويظهر هذا الأدب فى ألا يلجأ أحدهما الآخر إلى الإعتذار ، ولا يطلب منه المستحيل ، أو يدعوه إلى مشقة وتعب ، بل يطلب ما يوافق مراده ويدعوه إلى ما يحب ، بل يؤثره على مراده وما يحب .

■ ويظهر هذا الأدب حتى اللحظات الأخيرة فى الدنيا ، تلازم وانضمام واقتران واستناد ، تروى عائشة تقول : سمعت النبى ﷺ وهو « مستند إلىّ » يقول : « اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الأعلى » متفق عليه ذلك وهو فى آخر لحظات حياته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ﷺ .

❤ ❤ ❤

سادساً
الزوجان والحياة الروحية

إذا قلنا أن الحياة الزوجية فى حياة كل زوجين هى الدينامو الذى يمدهم دائماً بالزاد ، والوقود ، فعلى ذلك لابد أن يكون دائماً فى حركة دائبة فإن ضعف كان سبباً فى اضعاف جميع المناحى الأخرى ، وبقوته تنشط كل الحياة ، أما فى توقفه فهو موت وإعدام لحركة فطرية طبيعية أراد الله بها كل إسعاد وخبرات للزوجين .

وقد يهتم البعض لأهمية الحياة الروحية بها على حساب غيرها مما يحدث خللاً كان بوسعه أن يتفاداه ، إذ أن الحياة الزوجية منظومة كاملة لا تتكامل إلا بجزئياتها مجتمعة ، وكل جزء له أهميته القصوى فى نفسه ومع غيره .

وخير من أعطى لكل ذى حق حقه رسول الله ﷺ ، فى توازن لطيف ، وتكامل جميل ، فما منعه حق الزوجة عن حق ربه ، وما منعه حق نفسه كزوج عن حق عمله الضخم ، تروى عائشة أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم » متفق عليه ، والمقصود تقول أم المؤمنين « وهو جنب من أهله » أى بعد قضائه حق زوجته وحق نفسه ، فلا يمنعه ذلك من أداء حق ربه في صيام نهاره ، وتؤكد أم سلمة رضى الله عنها على نفس المعنى فتقول : « كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم » متفق عليه .

والحياة الزوجية فى حياة الزوجين لا تنفصل بحال من الأحوال عن غيرها من جوانب حياتهما ، بل لا نذهب بعيداً إذا قلنا أنها حاضرة فى كل الجوانب ، لا تكاد أن تفرق بينهم ، لأنها مخلوطة

بها وممزوجة فيها ، ففى الوقت الذى تفتقد فيه عائشة زوجها النبى ﷺ فتذهب لتبحث عنه تجده ساجداً فى المسجد فتحفظ ما يردده ، عن عائشة قالت : افتقدت النبى ﷺ ذات ليلة فتحسست فإذا هو راكع أو ساجد يقول : سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت ، وفى رواية : « فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد » رواه مسلم .

ومن ثم كان التوجيه النبى منذ البداية فى اختيار الزوج لزوجته ، وكذلك الزوجة لزوجها ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن ﷺ قوله : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » متفق عليه ، ومعنى تربت يداك : وإلا التصقت يدك بالتراب ذلاً وهواناً ، لأن فى انتفاء الحياة الروحية اعدام للحياة كلها .

وكذلك : « من أتاكم ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، فإن لم تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » فكيف لفاقد الزاد أن يستمر ، ولعادم الوقود أن ينطلق ؟!! .

وهذه جوانب مضيئة لحياة الزوجين الروحية بها ينطلقان ويحلقان ، فإن افترقا بالموت جمعهما الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فى جنته حيث النعيم والخلود ، والروح والريحان ، والأنس والسرور ، وملازمة لا تعرف فرقة ، ومقاربة لا تدرى ببعد .

أولاً : ليل القرب والمناجاة

● انتصار الزوجين فى الحياة ، بمقدار ترفعهما عن الدنيا واقتراب الآخرة منهما ، وهذا لا يتحقق إلا بالعبودية لله تعالى ، فيكونان بالله ولله ومع الله وفى الله وفى الليل يقترب الله من القلوب المتيقظة يلبى نداءها ، ويستجيب دعاءها ، ويسمع

مناجاتها ، ويباهى بأهل الليل ملائكته ، ويذكرهم فى السماء ، والزوجان الصالحان ينتهزان هذا القرب من الله ، وهذا الجو من المناجاة ، لقد اشفقت عائشة على زوجها الحبيب فتقول : كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر (تتورم وتشقق) قدماه فقلت له : لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » متفق عليه .

● وأحبَّ النبى ﷺ لحبيبة قلبه وعروس علىّ بن أبى طالب ، فاطمة الزهراء ، هذا القرب وهذه المناجاة ، يقول على بن أبى طالب : « أن النبى ﷺ طرقه وفاطمة ليلا فقال : ألا تصليان ؟! » متفق عليه ، طرقه ليلاً أى أتاه ليلاً .

ومن كثرة ضياءات ليل بيت النبى ﷺ تعودت عائشة على الليل وألفت العبادة ، حتى أنها باتت تذكر رسول الله ﷺ ، ففى ليلة تسأل رسول ﷺ : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : « يا عائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبى » متفق عليه ، وذلك حتى يجتهد الزوجان فى طاعة الليل ، فلا ينسيان من القرب لحظة ، ولا يضيعان من المناجاة ثانية ، سواء كانت فى نوم أو غفلة ، فلسنا مثل رسول الله ﷺ !! .

● وقد وصف النبى ﷺ مشهداً طريفاً لزوجين مع الليل ، كله رحمة وحب وروحانية عالية ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح فى وجهها الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء » أبو داود بإسناد حسن .

فما أحوجنا إلى الله ، وما أجمل أن ينظر الله إلينا برحمته

ورأفته وعنايته ورعايته ، وما ألطف هذا التعاون بين الزوجين فى القيام بين يدى المولى تعالى جاعل السكن والمودة والرحمة ، هنالك يكتسب الزوجان الفوز بالجائزة الكبرى ، بأن يكتبهما الله فى ﴿ **الذاكرين والذاكرات** ﴾ عن أبى سعيد قول النبى ﷺ : « إذا أيقظ الرجل أهله فصليا أو صلى ركعتين جميعا كتب فى الذاكرين والذاكرات » أبو داود باسناد صحيح ، فما أسعدهما ! وما أفرحهما ! بهذا الهناء الخاص بهم وقد نالا الجائزة الكبرى !! .

● وهذه الروح فى تحصيل غنيمة الليل ، وحب الزوجين أن يفوزا معاً ، وأن يربحا جميعاً ، كانت دأب خير أزواج الأرض مع زوجه ، رسول الله ﷺ ، حينما كان ينتهز فرصة أفضل عشر أيام فى زمان كل عام ، العشر الأواخر من رمضان ، فلا يجتهد منفرداً وحيدا بل مع زوجه شريكة حياته الروحية ، تروى عائشة عن زوجها : كان رسول الله ﷺ : « إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر » متفق عليه .

● ولم تكن الغنيمة السنوية فى العشر الأواخر من رمضان بل أيضاً فى ليلة تجمع فيها خير ألف شهر من كل عام ، إنها ليلة القدر ، ولم يتركها النبى ﷺ إلا وقد أخبر زوجته الحبيبة على جنى ثمارها وقطف خيراتها ، تقول عائشة : قلت : يارسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال : « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » الترمذى : حسن صحيح .

● وهكذا تمر ليالى العام والروح فى تقدم مع ربها ، ترفرف على جنبات البيت ، فى حال رقراق ، ليستقبل الزوجان يومهما بزاد الليل ، ومناجاة الليل ، وقرب الليل ، مما جعل عائشة تتباهى بليلتها حينما يخرج من عندها آخر الليل ليختم الليل بالبقيع

يتذكر الموت وأحوال الموتى لتكتمل العظة ، وتنطلق العبرة لتصنع يوماً طاهراً مع الله تعالى ، قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع » رواه مسلم .

● لقد وقفت مسحوراً مأسوراً مشدوها أمام لوحة بديعة ، لأروع زوجين ، وهما فى ليلة من الليالى بين يدى ربهما ، والكون فى سكون والناس نيام ، والزوجة بين يدى زوجها وهو ساجد ويصلى ، ليربط عليها بلمسة حانية ليوقظها إذا بقى الوتر ، فتقوم لتصلى الوتر ، والله تعالى ينظر إلى صنيعهما ، وإلى قلبيهما ، وإلى قصدهما ، فوالله كيف يكون نور نهارهما ، وضياء يومهما ؟!! وأترك عائشة تشرح لنا هذه اللوحة البديعة ، عن عائشة : أن النبى ﷺ كان يصلى صلاته بالليل وهى معترضة بين يديه (أى بينه وبين القبلة) فإذا بقى الوتر أيقظها فأوترت » رواه مسلم .

فيا أزواجنا الأحبة ، هذا ليلكم مع ربكم ترقى فيه الأرواح ، وتحصلون على الجائزة ، وتحصدون الغنائم ، وتصنعون حياتكم السعيدة بالروح العالية والقرب والمناجاة ، فهل أنت مبادرون ؟! أراكم كذلك فإلى المبادرة والتسابق .

ثانياً : من الذاكرين والذاكرات

● عنوان مرفوع فى مملكة الحياة الزوجية ، هنا عرش لزوجين متصلين بربهما ، تحفه الملائكة ، وتتنزل عليه السكينة ، ويذكرهم الله فى ملأ عنده ، هنا روحان يذكران الله ، يناجيان الله ، يلبيان الله ، فى سلام وأمان وطمأنينة ، وليس معنى ذلك أنهما فى عزلة من جوانب الحياة الأخرى ، إنهما منخرطان مع المجتمع مجتمعان

على الله ، هما فى قرب الله وإن تناءت بهما المسافات ، إنهما متحدان مع الذكر رغم تباعد المساحات ، فالقلوب المجتمعة على الذكر والمتحابة فى الله يوثق الله بينها ، ويقوى رابطتها .

● وعلى ذلك فالزوجان دائما فى ذكر الله ، على كل حال ، وفى كل مكان ، وفى كل حين ، بالليل والنهار ، فى الإقامة والسفر ، فى القرب والبُعد ، عن عائشة تصف هذا الشعار الساحر للحياة الروحية لكل زوجين تقول عن زوجها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » مسلم .

● حتى إذا أوى الزوجان إلى فراشهما واستعدا للخلود فى النوم ، فعليهما بالذكر ، وتلك كانت هدية النبى ﷺ للعروسين الشابين عليٍّ بن أبى طالب وابنته فاطمة الزهراء ، عن عليّ أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة رضى الله عنها : « إذا أويتما إلى فراشكما » أو « إذا أخذتما مضاجعكما » فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين » متفق عليه .

● وبيت الذكر هو أطهر بيوت الأرض مرفوع على بابه شعار ﴿ **الذاكرين والذاكرات** ﴾ ، فهى أجمل لحظات كل زوجين ترويها أم المؤمنين جويرية بنت الحارث زوج النبى ﷺ تقول : أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : مازلت على الحال الذى فارقتك عليها ؟ قالت : نعم ، فقال ﷺ ألا أعلمك كلمات تقولنها ؟ « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه » مسلم .

وهكذا كانت هدية الزوج الذاكر لزوجته الذاكرة ، فى بيت الذكر ، يرعاهما الله ، ويدفع عنهما ، ويرفعهما عنده فى مقام

﴿ **الذاكرين والذاكرات** ﴾ ، ولسنا هنا فى معرض ثواب الذكر ومنزلته ، ووصف حال الذاكرين ، وكيف يكون الذكر وأحيانه ، وإنما نحن نعرض طرفاً من أنقى حياتنا الزوجية قد يغفله بعض الأزواج عن الحياة الروحية ومنها الحرص على الذكر ، ومن أراد من الأزواج الاستزادة عن حال الذكر والذاكرين فليراجع كتابنا « فقه السالكين » وأنصح الزوجين أن يكون رفيقاً لهما فى حياتهما الروحية .

ثالثاً : صلاة البيوت

● **أفضل الصلاة صلاة البيوت :**

وحتى لا يفهم أحد أننا ندعو الزوجين إلى اعتزال المساجد والصلاة فى البيوت ، نفسر أولاً ما نعنيه بصلاة البيوت ، وهى صلاة النوافل بالبيت غير المكتوبة ، والنبى ﷺ أطلق عليه « أفضل الصلاة » عن زيد بن ثابت قول النبى ﷺ : « صلوا أيها الناس فى بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » متفق عليه .

● **لا تتخذوا البيوت قبوراً :**

فالمرء الذى يصلى النوافل فى بيته ، فكأنه جعل من بيته مقبرة ، فالحياة بالصلاة ، والصلاة هى روح البيوت التى إن فقدتها فقدت حياتها كلها ، فقد فقدت أنوار الإيمان ونزول الملائكة ، عن ابن عمر قول النبى ﷺ : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً » متفق عليه

● **لا تحرموا البيوت من الخير :**

وهكذا تتنزل الخيرات على البيوت بأداء الصلاة فيها ، ولما لها أيضاً من آثار على الزوجين بالطاعة وللأولاد بالتأسى والاقتداء

بآبائهم ، فيشبوا على حب العبادة ، وخيرات أخرى تكفل الله تعالى بها في بيوت المصلين :

عن جابر رضى الله عنه قول النبى ﷺ : « إذا قضى أحدكم صلاته فى مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته فإن الله جاعل فى بيته من صلاته خيراً » مسلم .

● وأصبح الزوج موضع فخر واعتزاز لزوجته إذا واظب على صلاته النافلة بالبيت ، وأصبح البيت كذلك محلاً للبركة والخير والحياة ، تتباهى به الزوجات ، عن عائشة : « كان النبى ﷺ يصلى فى بيتى قبل الظهر أربعاً ثم يخرج فيصلى بالناس ثم يدخل بيتى فيصلى ركعتين ويصلى بالناس العشاء ، ويدخل بيتى فيصلى ركعتين » رواه مسلم

رابعاً : زوجان مع الملائكة

● إذا أراد الزوجان دائماً أن يكونا مع الملائكة ، فليحرصا على طهارة مملكتهما ، بإبعاد كل مما شأنه يحول دون تواجد الملائكة بالبيت ، فالملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثالاً أو كلب ، فما فائدة وجودهما إن كانا يطردان الملائكة من الدخول ، وما أحوج حياتنا الروحية أن يشهدها الملائكة رحمة وسكينة وطمأنينة ، حيث لا يعرف الشيطان طريقاً أو ثغرة ينفذ منها إلى قلب زوجين يحرصان على الطهارة الدائمة ، عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : يا عائشة أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين » متفق عليه .

وفى رواية تقول عائشة : أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما

رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله فعرفتُ في وجهه الكراهية فقلت : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ ماذا أذنبت ؟! فقال رسول الله ﷺ : « ما بال هذه النمرقة ؟ قلت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسَّدها فقال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم : احيوا ما خلقتم وقال : إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة » البخارى .

وهكذا البيت ، رغم النية الجميلة عند عائشة فى أنها قد اشترتها خصيصاً لزوجها تسعده بها ويتوسد عليها تبتغى راحته ، إلا أنها أمام كراهية النبى للأمر ، توقفت حتى تعلم حقيقة الأمر وهو الحرص على أن يكونا مع الملائكة .

● وكما أن التماثيل وصورها تمنع دخول الملائكة فكذلك الكلب ، وإنى أعجب كل العجب ممن يجعلون الكلاب فى حجراتهم ويتجولون فى غرف البيت ولا فائدة من ذلك ، إنما جعل الكلب للحراسة ومن الرفق به أن يعيش حياته كما خلقه الله ، فمكانه مع الحارس فى بيت خاص به خارج المنزل حتى يقوم بمهامه التى خلق من أجلها ، لقد تسبب جرو كلب فى عدم دخول جبريل بيت النبى ﷺ ، وهى لحظات تساءل فيها النبى ﷺ عن السبب ، فى دهشة وهو يردد قوله : « ما يخلف الله وعده ولا رسله » ، نترك السيدة عائشة تحكى لنا هذه اللحظات الرهيبة التى مرت بالبيت تقول : واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فى ساعة أن يأتيه ، فجاءت تلك الساعة ولم يأته قالت : وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول : « ما يخلف الله وعده ولا رسله » ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره فقال : متى دخل هذا الكلب ؟ فقلت : والله ما دريت به ، فأمر به فأخرج ، فجاءه

جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ : « وعدتنى فجلست لك ولم تأتنى » فقال : منعنى الكلب الذى كان فى بيتك وإنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة » رواه مسلم .

● والمقصود بأن يكون الزوجان مع الملائكة ، ألا يدخل البيت ما شأنه كذلك يدخل الشيطان من الموسيقى الماجنة أو الغناء الصاخب ، أو الأفلام والمسلسلات التافهة ، أو البرامج والمواقع بالنت الغير مرغوب فيها ، فكل ذلك يوصد الأبواب أمام الملائكة ، وبالتالى أمام الحياة الروحية التى تفتقدها أمثال هذه البيوت وبالتالى يمرح الشيطان بزوجين كان الأولى بهما أن يعيشا لحظات سعادة وسرور وهناء !! .

خامساً : الزهد وإيثار الآخرة

المقصود بالزهد أن تخرج الدنيا من قلب الزوجين ، وإن امتلكاها ، وألا يحرصا على حظوظها ومشتهياتها ولذاتها وإن صبت عليهما الحظوظ والمسرات ، فمعروف أن حوائج العباد تقضى بعدم الحرص عليها والجرى وراءها والطمع فيها ، ومعلوم أن الدنيا تأتى راغمة لمن أعرض عنها ولم يلهث وراء خداعها ، وبهذا المقصود نفهم زهد النبى ﷺ فى بيته ، حينما اختار أن يكون عبداً شكوراً ، وبين يديه كنوز الأرض كلها ، ليقتدى به الأزواج فى بيوتهم ، فيرضون باختيار الله لهم ، ويثقون فى تصريف الله للأقدار ، ويستقبلون المحن والأزمات بابتسامة الإيمان بقضاء الله ، الذى يحمل كل خير لهم ، تقول عائشة : « توفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شئ يأكله ذو كبد (كان حى) » متفق عليه .

وتقول أيضاً : « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين

متتابعين حتى قبض » متفق عليه .

وتروى لعروة : والله يا ابن اختى إن كنا لننظر فى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار ، قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منايح < جمع منيحة الشاة يعطيها صاحبها لغيره ليشرب لبنها ثم يردها > وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا » متفق عليه .

وتقول أيضاً : « توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير » متفق عليه .

وبطبيعة الحال ليس المطلوب منا إذا أعطانا الله نعمة أن نرفضها ، بل نتمتع بها ، ثم بها نحدث ، ونؤدى حق شكرها فيعطينا الله المزيد ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ ، وإنما قد تتفاوت المستويات ، وقد تأتى أزمات ، فيصبح الثرى فقيراً ، فماذا عليه أن يفعل ؟ إلا الرضا باختيار الله له أولاً ثم همة عالية من أجل الكسب الحلال ولن يضيعه الله ، بلا حرص ولا طمع ولا تنازل عن الدين من أجل اقتناء دنيا زائلة !! .

فلم يمنع ما عرضناه من حياة رسول الله ﷺ وعائشة أن يذبحا الشاة ويتصدقا بها على المحتاجين ، حتى لم يبق منها إلا كتفها ، واعتبر النبى ﷺ أن الباقى الحقيقى كلها إلا كتفها فى الثواب والأجر ، تحدثنا عائشة بأنهم ذبحوا شاة وقال النبى ﷺ ما بقى منها ؟ قالت : ما بقى منها إلا كتفها ! قال : بقى كلها إلا كتفها » الترمذى : صحيح .

ولقد سبق حرص النبى ﷺ ألا يكون فى بيته مال إلا وقد وزع على مستحقيه ، ايثاراً للآخرة وما عند الله خير وأبقى ، وهكذا

إذا أراد أزواجنا الأحبة أن يقتدوا بنبينا ﷺ فليخلعوا الدنيا من أن ينفذ منها شئ فيتمكن من القلب ، بل دائماً تكون فى أيديهم يوزعونها على الناس ، فيثابون ويؤجرون الباقى على الفانى .

فأف لمن تعرض للعنت فى الدنيا ، ومشقة الذنب ، ونصب الجبن ، من أجل فراش ناعم ، أو أثاث وثير ، أو طعام لذيذ ، أو ، أو ، وعائشة الزوجة الراضية السعيدة بحالها تصف فراش النبى ﷺ فتقول : كان فراش رسول الله ﷺ من أدم (جلد مدبوغ) حشوه ليف » البخارى .

ومن أعظم ما كان يدعو به النبى ﷺ ما رواه أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل عيش آل محمد قوتاً » متفق عليه ، والقوت : ما يكفى حاجتهم دون زيادة ، والأمر إن كان شرحه يطول إلا أنه مفهوم لدى الأزواج الذين يريدون أن يرقوا بحياتهم الروحية زهداً فى الدنيا وايثاراً لما عند الله فهو ما يتبقى للزوجين فى حقيقة الأمر .

سادساً : المظاهر الكاذبة لا تنفع

● التصنع والتكلف من أجل تحسين المظاهر ، وتلوين القشور ، وأن يبدو الزوجان أمام بعضهما أصحاب المحاسن والفضائل ، هل هى نافعة ؟ وإن نفعت بعض الوقت فهل تدوم ؟ وإن دامت بعض الأحيان فسرعان ما ينكشف خداعها ، فماذا يكون موقف متصنعها ؟! إنها مأساة عارمة وكارثة محققة وبركان مدمر !! فلماذا يحرص البعض على ذلك ، وهو يعلم العاقبة السوداء التى تنتظره ؟!! .

ولذلك كان الحل لهذه الألغاز ، والإجابة على هذه الأسئلة فى صدق القلوب وإخلاص النيات ، عن أسماء أن امرأة قالت :

يارسـول الله إن لى ضـرَّة فـهل علىّ جناح إن تشـبعت من زوجى غير الذى يعطينى ؟ أى تقول : أعطانى كذا وكسانى كذا وكذا وهو ليس كـذلك فقـال النبى ﷺ : « المتشبع بمالم يُعط كلابس ثوبى زور » متفق عليه ، فالذى يظهر الشبع وليس بشبعان فهو كالذى يزور على الناس ، ومعناها أنه يظهر أنه حصل له فضيلة وليست حاصلة .

● ولذلك فمن داخل قلوبنا ومن عمق ضمائرنا تنطلق أعمالنا لله وحده ، وهنالك لا يأبه أحد إن رضى الناس أم سخطوا ، ما دام هو مع ربه كما أمر الله ، وأقرب مثال لذلك حرص النبى ﷺ على تلقين هذا المعنى لزوجته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما ، تقول السيدة أم سلمة : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب قال ﷺ : « احتجبا منه » فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال النبى ﷺ « أفعمياوان أنتما ؟ » « ألستما تبصرانه ؟ » رواه أبو داود والترمذى حسن صحيح .

● فليس الأمر بين الزوجين خاصة بكثرة الإعلام عن شئ ليعرف به ، مثل كثرة الطاعة أو الصدقة أو الخلق أو الصلاة فيكلف أحدهما نفسه مالا يطيق ليبدو كذلك ، ولكن وإن طال ذلك فالملل طبيعة المتصنع ، والعمل سجية المداوم ، عن عائشة أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، قال من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها (تذكر كثرة صلاتها) ، قال : « مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » « وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه » متفق عليه .

● وقد تكون النيات صالحة ، والقلوب صادقة ، ولكن تعجل أحد الزوجين يجعله يأخذ قراره دون استشارة أو استئذان ! فيحرم

نفسه من صواب رأى وحكمة عمل ! وتأملا أيها الزوجان معى هذا المشهد فى أحد بيوت النبى مع زوجته ميمونة ، واستخرجا العبرة فى ذلك ، عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها أنها اعتقت وليدة (أمة) ولم تستأذن النبى ﷺ فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت : يارسول الله إنى اعتقت وليدتى ؟ قال : أوفعلت ؟ قالت : نعم قال : « أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأمرك » متفق عليه .

● أما الرخصة فى الكذب بين الزوجين ، فهو لهدف محدد ، لتزيد المحبة ، وتقوى المودة ، إن احتاج الأمر إلى ذلك ، فهو مقيد بحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها ، وليس على الإطلاق ، وإلا تحول إلى جحيم فى الحياة الزوجية ، يأكل زرعها ويفنى ثمارها ، عن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط تقول عن رسول الله ﷺ : « ولم اسمعه يرخص فى شئ مما يقوله الناس إلا فى ثلاث : تعنى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرته وحديث المرأة زوجها » رواه مسلم .

سابعاً : مسارات روحية

● المسامرات عموماً من ثمرات الحياة الزوجية اللطيفة على الموائد وفى الرحلات وفى مجالس الأنس ولقاءات الحب ، فلماذا لا يكون فيها بند ثابت عن المسامرات الروحية ، حيث النفوس مهيئة ، والقلوب مفتحة ، والعقول مستقبلة ، وهى خير من النصح وأسلوب الوعظ ، فقد تأتى فى صورة سؤال أو حكاية أو طرفة أو نشيد ، بحيث يتحقق منها الهدف فى إيصال معنى ، أو توضيح فكرة أو الالتزام بخلق أو الدعوة إلى علم أو تشجيع ودافع وحافز إلى العمل ورفع همة ، وكلها أهداف نبيلة ، تتحقق عن

طريق المسامرات ، والمقصود بالمسامرات الروحية التى تؤدى إلى دفع الروح من الطاعة والعبادة ، وهكذا كان دأب النبى ﷺ فقد كان يحفز عائشة ويشجعها على تلاوة القرآن ، تقول عائشة : قال رسول الله ﷺ : « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع به وهو عليه شاق له أجران » متفق عليه .

● وكانت عائشة تستدعى من رسول الله ﷺ المسامرات الروحية عن طريق السؤال ، تقول : أنها سألت النبى ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت منهم فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك فما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (اسم جبلين) فقال ﷺ : « بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » متفق عليه .

● وربما يكون فى تكرار ذكر الشئ ، وفاء له ، وفى نفس الوقت افتقاد أخلاقه ورجاء أن تتوفر فى الطرف الآخر ، وهذا ما جعل عائشة تغار على خديجة وما قابلتها قط تقول عائشة : « ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة رضى الله عنها وما رأيتها قط ، ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم

يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق « جمع صديقة » خديجة ، فربما قلت له : كأن لم يكن فى الدنيا إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت وكانت وكان لى منها ولد » متفق عليه .

● ومن خلال هذا المسامرات أيضاً ينال الزوجان الزاد الذى يدفعهم فى حياتهما الروحية ، ويزيد من ايمانهما ، تقول عائشة : سمعت (فربما كان السماع من خلال ما تعنيه بهذه المسامرة) رسول الله ﷺ يقول : إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » أبو داود .

ويبلغها سلام جبريل عليه السلام تقول : قال لى رسول الله ﷺ هذا جبريل يقرأ عليك السلام قالت : قلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته » متفق عليه .

● وإن كان ثمة هدف أخير من هذه المسامرات فى أن تقوى الصلة بين الزوجين ، والتفاهم الممتزج ، والانصهار فى مشاعر وعاطفة واحدة ، بحيث تكون هى راحتهما بعد عناء ، وأمانهما بعد شقاء ، تذوب بعدها الكثير من الأزمات والمشكلات والصعاب ، عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر » مسلم .

ولا تظهر هذه الأخلاق إلا بوسائل كثيرة من أهمها المسامرات الروحية ، وتختفى صور مؤذية حذر منها النبى ﷺ حينما قال وهو يخطب « يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه » متفق عليه .

وهى والحمد لله صورة معدومة تماماً فى أزواجنا الذين نخاطب فيهم الرقى ، وهم ينشدون الأرقى أسأل الله لكما أيها الزوجان السعادة والهناء الدائمان بدوامكما .



سابعاً
زوجان فى الجنة

● طريق الزوجين إلى الجنة ، يخططان له من أول وهلة ، ويرسمانه بكل عناية ، ويحافظان دائماً على السير فيه ، وينتصران على ما كل يقابلهما من عوائق وعقبات ، وهذا الطريق ليس بعسير إنما هو سهل على من يسره الله إليه ، والله المطلع على القلوب ، يكافئ كل حبيبين ارتبطا به واجتهدا فيه من أجل الجنة ، أن يرعى خطاهما ويدافع عنهما ويحقق مرادها ، وأول العناية الربانية يسهل لهما طريق الجنة ، بأن ييسر لهما الأحوال ، ويوفق لهما الأوقات ، ويسدد لهما الخطوات ، ومن ثم يجنيان فتوحات لم تكن فى أحلامهما ، ولم تخطر ببالهما ، ولم تمر بقلبيهما ، وتلك عاجل بشرى الزوجين فى الدنيا ، بأنهما حصلا على الجنة قد أتيا ثم يعودان !! أسأل الله لى ولزوجتى وكل زوجين أن يجمعنا فى جنات عدن التى أعدها الله للأزواج !! .

● يقول تعالى : ﴿ **جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم** ﴾ الرعد / ٢٣ .

ويقول تعالى واصفاً جنات عدن :

﴿ **جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾ فاطر / ٣٥ .

وقيل فى التفسير : جنات عدن هى (مدينة الجنة) فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى ومن حولها الناس فى الجنات ، التى تحوط المدينة ، ويجمع الله فى جنات عدن أهلها مع

أحبابهم من آبائهم وأزواجهم وذريتهم .

● وأول الطريق إلى الجنة الزوجة الصالحة مع الزوج الصالح > فمنك أيتها الزوجة يبدأ الطريق ، وبإشارة من يدك يبدأ السير ، ومنك أيتها الملكة يكون الافتتاح ، لأغلى وأرقى طريق فى الوجود ، وحتى لا يكون هذا العنوان مبهما ، نقف على مواصفات الزوجة الصالحة ، التى بها تستلم الزوجة مهامها ، ثم مواصفات الزوج الصالح .

ثم نجيب على هذا التساؤل : وهذا ما أردنا من العنوان : (زوجان فى الجنة) .

أولاً : الزوجة الصالحة مع الزوج الصالح

١- زوجة تعينك على الإيمان :

● روى الترمذى عن ثوبان رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ .

قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه : أنزلت فى الذهب والفضة فلو علمنا أى المال خير فنتخذه ؟ فقال : « لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه » .

بمنطق رجال الأعمال سأل البعض عن أعظم الصفقات المالية ، فدلهم النبى ﷺ على أعظم صفقات فى الوجود ، تعود عليهم بأفضل الأرباح وأرقى المكاسب ، إنها صفقة للزوجين معاً ، زوج وزوجة يحرصان على الإيمان ، فالزوج ذو لسان ذاكر وقلب شاكر والزوجة تعينه على الإيمان بالتزامها ومحافظتها ، وبدفعه وتقويته ، ورعايتها له فى كل الأحوال الايمانية فهى تزيد من إيمانه

إن توفر ، وتثبته إن تقهقر ، وتقويه إن انتقص ، وتدفعه إن تردد ، وتعليه إن قلّ .

● ومن صور ذلك الرضا بما قسم الله ، وأن تحثه على الرزق الحلال ، رأن تفرح بالتزامه وطاعته ، وتحمسه على العمل لله والتضحية فى سبيله ، وأن تجتاز معه المحن مستبشرة بأقدار الله ، وكم كانت زوجتي تكرر هامسة من قلبها وأنا فى محنتى : (إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ، فإذا ابتلاه اقتناه ، فإذا اقتناه اجتباه ، وإذا اجتباه أدخله الجنة) وكأنى أقول لها : (إن المحنة تمر علينا معاً ، فالابتلاء فى حقيقة أمره للزوجين معاً ، اللذيْن هما روحان فى جسد واحد ، يعدُّهما الله إلى جنته بالاقتناء ثم الاجتباء فالجنة) .

٢ـ زوجة تجعلك فى راحة :

● روى الطبرانى بسند جيد عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « أربع من أصابهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ، قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تبغيه حُوباً فى نفسها وماله » .

إن من أعظم ما يصاب به الأزواج من بركان الأزمات الثائر أن يصابوا فى زوجات لا يحفظن أنفسهن ولا يحفظن ماله !! ولذلك كان من مواصفات الزوجة الصالحة التى هى من خير الدنيا والآخرة ، ألا يجد الزوج عنتا أو مشقة أو تعبا من هذين الأمرين !! فلا يجد الزوج إلا الراحة التامة فى نفسها حفظاً وطاعة ورقياً ، وفى ماله حفظاً ونماء ورعاية .

● وكم من زوجات صالحات شققن غبار الحياة ، وسرن فى ضباب الدنيا ، يقمن بالعمل ، وينمين المال ، فى غيبة أزواجهن ، فكن مصدراً لراحة الأزواج ، ومعينـاً لثقتهم ، ونهراً للحب لا

ينفد ، ورصيداً من الأمل لا يتناهى ؛ منهن الحبيبة زوجتى .

٣- زوجة تمتعك فى الدنيا :

● روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » .

اللاهثون وراء الدنيا ، علام يبحثون ؟ وماذا يجنون ؟ إنهم يبحثون عن المتاع ، إنهم يظنون أنهم يجنون المتاع ، ولكنهم سرعان ما يكتشفون أن المتاع سراب ، وأن اللذة خداع ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور !! .

● أما المتاع الحقيقى واللذة الحقيقة والأنس المفقود والسرور الغائب والبهجة النادرة ، كل ذلك قد تجمع فى (الزوجة الصالحة) فهى التى تمنحك الحب والأنس والشوق ، وهى التى تطارحك الغرام والهيام ، وهى التى تنشر السرور والبهجات ، وهى التى تعطيك اللذة والمتعات ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ .

٤- زوجة تنصرك على الشيطان :

● روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه » .

هذا من جوامع الكلم لرسول الله ﷺ : فإن الشيطان اليوم يستعمل غوايته المرأة بصورة أخرجتها عن كرامتها وشرفها وحريتها ، واستطاع بتدليسه وتلبيسه قلب الحقائق ولكن المرأة الصالحة هى التى يفر منها الشيطان ولا يستطيع الاقتراب منها ، لأنها تكون عوناً لزوجها عليه ، فما أشدها عليه وهى تستقبل زوجها بزينة مبهرة وجمال آخاذ وسحر مؤثر ، فإذا وضع نظره على امرأة يستعملها الشيطان ، فلا يرى سوى زوجته الصالحة فى عينه

أحلى وفى خاطره أجمل فينقلب إليها حيث تهدأ نفسه ويجد راحته المنشودة ، والزوجة الصالحة لذلك هى الواعية بخطة الشيطان فلا تتوجه إلى زوجها وهو المحاصر فى معركة الشيطان باللوم والعتاب ثم الصراع والعراك أو بالوعظ والنصح ثم العقاب والحساب أو بالاتهام والتقصير ثم الاختلاف والتنابذ ، إنما تحارب الشيطان فى زوجها ، حيث يجد فيها ما هو أحلى وأجمل مما قد خدعه به الشيطان ، وبذلك تنصره على الشيطان .

● وبهذا الوعى من الزوجة ، وبالثبات عليه ، لا يكون فى شعور الزوج سواها ، ودائماً تسكن عينه ، فإن أغلق جفننا رآها ، متربعة فى سوادها ، وكل نبضة من قلبه تقول له : أسرع إلى حبيبة قلبك فعندها الراحة والسكينة

٥ـ زوج تمنحك كل خير :

● روى النسائى فى بسند صحيح قول النبى ﷺ : « خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا أقسمت عليها أبرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالها » ولأنها خير النساء فهى تملك مواصفات الخير التى تمنحها لزوجها ، وهى أربعة :

أ ـ إذا نظرت إليها سرتك :

جاء فى وصية الأم أمامة بنت الحارث لابنتها ليلة زواجها : « التفقد لمواضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح » .

والسرور ينبع من القلب ، وبريده العين ، ولذلك لا يظهر ولا يتحرك إلا إذا نظرت العين ، فرأت فى العين مودة وحباً ، فهى مرآة القلب والزوجة الحريصة على ذلك تكون صادقة فيما تفعله لزوجها ، فليس الأمر بالشكل والمظهر وإنما بصدق القلب ومودة

العين ، التى هى لغة العيون ، وبريد السرور إلى قلب الزوج .

ب ـ وإذا أمرتها أطاعتك :

وفى وصية الأم لابنتها : (الخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ، فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره) .

وهذا حق الزوج على زوجته ، روى الحاكم عن عائشة سألت رسول الله ﷺ : « أى الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها » ويؤكد رسول الله ﷺ هذا الحق فى قوله : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليه » رواه الترمذى .

جـ ـ وإذا أقسمت عليها أبرتك :

قد تضطر الظروف إلى أن يقسم الزوج ، وهذا يكون آخر المطاف ، وبعده تبدأ الأزمات تتوالى ، فالزوجة الصالحة تغلق هذا الباب ولا تفتحه ، لأنها لا تعاند ولا تنتصر لنفسها ، وتقوم بحق زوجها ، ولذلك فهى تسرع إلى إبرار قسمه فوراً ، وفى هذا الخير كله ، حتى لا تفتح باباً من الغضب الشيطانى ، ومن أجمل وصايا زوج لزوجته ، وصية أبى الدرداء لامرأته : (إذا رأيتنى غضبت فرضنى ، وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب) فمن إرضاء الزوج إبرار قسمه .

د ـ وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالها :

فى حال غيابك أنت واثق تماماً لحفظها إياك فى نفسها ومالك ، ومن أحسن أوصاف الزوجة الصالحة فى ذلك ما ورد فى القرآن الكريم ، فى وصف الزوجات الصالحات فى قوله تعالى : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ النساء / ٣٤ ، القانتات هن الطائعات ، والحافظات للغيب أى

اللاتى يحفظن غيبة أزاوجهن فى نفس أو مال ، وبهذا الحفظ تدوم الحياة الزوجية وتكون المرأة فى أسمى سعادتها وبهجتها .

٦ـ زوجة تحبك وتحبها :

● من أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا (الحب روح الحياة الزوجية) ولكننا هنا فى معرض صفات الزوجة الصالحة التى تمنحك الحب وتمنحها الحب ، ومع ثبات النبى ﷺ على العدل بين زوجاته ، إلا أن الحب كان أقوى ، تقول عائشة : « كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل (أى بين زوجاته) ويقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » قال أبو داود يعنى : القلب ، روى الحديث أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

● قال محمد بن سيرين سألت عبيدة عن (معنى الحديث) فقال : (هو الحب والجماع) ، ويؤكد أبو بكر بن العربى قائلاً : (وصدق فإن ذلك لا يملكه أحد إذ قلبه بين اصبعين من أصابع الرحمن يصرفه كيف يشاء ، وكذلك الجماع ، وهذا يكون بغير قصد فلا حرج عليه منه فإنه لا يستطيعه فلا يتعلق به تكيف) ، والمعنى واضح إن الحب إن توفر فإنه ينشط الجماع ، والحب فى القلب ، ولذلك كانت الزوجة الصالحة هى الحريصة على حب زوجها ، وهكذا كانت عائشة : حب رسول الله ﷺ ، مما جعل أم المؤمنين سودة تهب يومها لعائشة لعلمها بحب رسول الله ﷺ لعائشة ، تقول عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل أمرأة منهن يومها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة .

٧ـ زوجة تلاعبها وتلاعبك :

● الملاطفة والمداعبة والملاعبة ، كلمات فى قاموس الزوجين ،

كلما تحققت صنعت واقعاً سعيداً وحياة هانئة ، وكلنا يحفظ ما روته عائشة : « سابقني رسول الله ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني فقال : هذه بتلك » رواه أحمد ، وكان من قوله ﷺ : « كل شئ يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ثلاثاً رميه عن قوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق » .

● أما على مستوى حياتهما الخاصة بالجماع والاستمتاع فقد جعله الإسلام من الصدقات للزوجين ، يثابا به ويؤجرا ، فقد روى مسلم قول النبي ﷺ : ولك في جماع زوجتك أجر ، قالوا : يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر » . فيستحب للزوجين المداعبة والملاعبة والتقبيل والانتظار حتى تقضي المرأة حاجتها ، روى أبو يعلى عن أنس بن مالك أن الرسول ﷺ قال : « إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها » لا يتركها حتى يستكملا معاً الاستمتاع ببعضهما ، ولذلك كان النبي ﷺ يقول لجابر : « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » .

● والعجيب أن الملاعبة والاستمتاع يتحول إلى عبادة ، وبذلك يحظى الزوجان بالمتعة والطاعة معاً ، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس : قول النبي ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإن قدر بينهما في ذلك ولد ، لن يضر ذلك الولد الشيطان أبداً » ، وهذا هو الطريق للذرية الصالحة الطائعة .

● وقد أباح الإسلام للزوجين كل كلام من شأنه يكمل متعتهما ، فللزوج أن يفضي وللزوجة أن تفضي ، بشرط أن يكون

ذلك سراً لهما ، وهذه الكلمات أو الحركات أو الايماءات أو التعبير عن مشاعر الحب والاستمتاع ، هى سر كل زوجين كبصمة اليد ، تختلف من مملكة إلى أخرى ، ولذلك حذر النبى ﷺ من إفشائها وإذاعتها ، فعن أبى سعيد قال رسول الله ﷺ : « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها » رواه أحمد .

وأنقل هنا للزوجين مقتطفات من حوار مع الدكتورة هبة قطب التى نالت الدكتوراة عن (النموذج الإسلامى فى الممارسة الجنسية) والمنشور بمجلة الأهرام العربى اكتوبر سنة ٢٠٠٣ م تقول : (من ضمن عظمة الإسلام أنه تعرض لأدق تفاصيل الحياة الزوجية سواء فى القرآن أو السنة ، حتى أن هناك آية فى سورة البقرة تقول : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم** ﴾ أريد التوقف عند ﴿ **أنى شئتم وقدموا لأنفسكم** ﴾ فقد أفردت لها فصلا كاملاً ، فى الرسالة ، ﴿ **أنى** ﴾ فى اللغة تحتمل ثلاثة معانٍ (أينما ، كيفما ، وقتما) ، (أينما) تعنى أنه من الممكن ألا تلتزم بمكان واحد فى العلاقة الجنسية لأن ذلك يبعث على الملل ، وهو ما يحث عليه العلم الحديث أيضاً ، حيث ثبت ضرورة تغيير المكان والوضع حتى الفراش فى البيت ، فقد تمارس العلاقة مرة فى غرفة النوم ومرة فى غرفة أخرى ، مرة على الأرض مثلا وهكذا من باب الترفيه والتجديد . (كيفما) تعنى الأوضاع الجنسية التى ينادى بها اليوم حيث اكتشف العلم أكثر من (٧٠٠ - ٨٠٠) وضع جنس مختلف ، (وقتما) تعنى أننا غير محددين بوقت معين ، فهناك بعض الديانات والمذاهب تقول إنه : لا يصح ممارسة العلاقة أثناء طلوع الشمس أو فى الوقت الفلانى لكن الإسلام يقول : إن كل

الأوقات مناسبة مادمنا لسنا فى حالة صوم سواء : فجراً - ليلاً - نهاراً ليس له علاقة بتوقيت معين .

أما ﴿ **وقدموا لأنفسكم** ﴾ فهى شرط لم يفصلها الله فى سياق الآية بحرف عطف مثل (ثم) بل إن الواو تفيد المعية ، والمخاطب هنا هو الرجل بدليل أنه قال : ﴿ **نساؤكم** ﴾ أى أنك إذا أردت أن تأتى حرثك فقدم لنفسك ، فقد أثبت العلم الحديث أن الرجل يكون جاهزاً ومثاراً للعلاقة الجنسية ، بينما تأتى إثارة المرأة متأخرة نوعا ما ، وتأخذ وقتاً أطول ، لهذا تقول الآية للرجل : لابد أن تمنحها حقها فى الاستمتاع بأن تقدم لنفسك وأن تعطيها وقتها لأن تصل إلى ما وصلت إليه ، كل هذا من أهم ماركزت عليه لتفادى مشاكل العصر فى علاقتهما ، مثل الملل الجنسى وعدم استمتاع المرأة ، وقد وضعت هذه الآية حلاً لها من مئات السنين : اليوم أيضاً من ضمن شكاوى الأزواج : أن الزوجة تتمنع وتنتظر حتى يطلبها الزوج للفراش ، فيشعر بذلك أنه يحثها على أداء الواجب وقد أكد العلم أنه لا مانع من أن تطلب الزوجة ذلك مرة والزوج مرة أخرى ، وقد سبقه الإسلام فى ذلك منذ ١٥٠٠ سنة حيث كانت السيدة عائشة تقول : إنها كانت تدعو الرسول ﷺ إلى الفراش وكان فى كل مرة يقول بعد ركعتى القيام ويكررها حتى يكون قد أصابه الارهاق فى النهاية ، وعندما سألها مما إذا كانت غاضبة ردت عليه ، « أريدك وأوثر هواك » أى أرغب فيك كزوج ، لكنى أفضل هواك وحبك لأن تصبح فى معية الله بالصلاة » .

❤ ❤ ❤

ثانياً : زوجة من أهل الجنة

● أولى خطوات الزوجة لكى تضمن الجنة وسلوك الطريق إليها ، يبدأ من الأساس من اختيارها لزوجها ، وقبولها له ، والقاعدة فى ذلك أن الثيب تستشار والبكر تستؤمر ، فالأمر يرجع إلى الفتاة ، وهنا تظهر أهمية التربية التى تلقتها الفتاة من البيت ، والحكمة فى أن الأمر راجع إليها أنها حياتها ومستقبلها ، حتى تكون مسئولة مسؤلية كاملة فى اختيارها ، ولقد كانت الفتيات على عهد النبى ﷺ يمارسن هذا الحق كاملاً بوعى وجرأة ، فكن بحق فتيات جريئات فى الحق ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع خسيسته ، قال : فجعل الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شئ » رواه ابن ماجة ورجاله رجال صحيح .

وهكذا الإسلام الذى جاء لتكريم المرأة ، وقد سبق الأدعياء فى واقع نظيف وطاهر .

● فالإسلام الذى أعطى هذا التكريم هو الذى دعا الآباء والأمهات إلى تربية فتياتهن على حسن الاختيار ، عن أبى حاتم المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، قالوا : يارسول الله وإن كان فيه ! قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه - ثلاث مرات - » الترمذى بإسناد حسن .

وهكذا تكتمل دائرة الصلاح فى زوج صالح صاحب دين وخلق ، وزوجه صالحة ذات دين وإلا فتحت أبواب من المشاكل لا تنتهى .

● فإن قال قائل هذا فى زماننا خيال ، أقول له ، هذا واقع مر بى شخصياً واستأذن الزوجين فى أنقله إليهما ، فى ليلة رمضانية وقفت بين يدى الله مستجمعاً عقلى وقلبى وروحى أسأله سؤالاً واحداً : (اللهم ارزقنى الزوجة الصالحة) ولم يكن فى خاطرى شئ آخر إلا محتوى هذا الدعاء وإذا فى اليوم التالى تتحرك الأقدار بمالم يخطر على بال ، حتى كنت فى بيت زوجتى أطلب يدها ، وما هى إلا أيام حتى عقدنا الزواج ، ولم أشعر بأى طيف مر بنا يعرقل السير الربانى حتى وقف الوالد الحاج / محمود شكرى يقول فى حفل عقد الزواج : (الزواج الميسر) وكان تيسيراً عجيباً ونادراً ، ولكنه تحقق ، وعلمت بعد ذلك أن زوجتى كانت عند مقام إبراهيم تؤدى العمرة وتسأل ربها : (الزوج الصالح) ، فكان زواجاً من الله وبالله وفى الله ، وتذكرت حديث عائشة وهى تقول : إن النبى ﷺ قال : « إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة » .

ومازلنا فى بحر البركة الذى لا ينضب أبداً ولا ينفذ خيره ، لأن معية الله معنا .

● ونعود إلى موضوعنا ولعلى قد أكون أجبت على سائلى القائل بأن هذا الكلام بعيد المنال ، فقد تحقق ومازلت أسعد به وأرغد فى بهجته ، أما صفات (زوجة من أهل الجنة) نجملها فى التالى .

١- بطاعتها لزوجها :

● روى عبد الرحمن بن عوف قول النبى ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها أدخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت » رواه أحمد .

إنها ليست من أهل الجنة فحسب بل إنها ملكة فى الآخرة ،

سيدة فى الجنة ، تدخل من أى باب تختاره من أبواب الجنة !!
ماهذا النعيم ؟ ولماذا كل هذا النعيم ؟ وما الذى تميزت به زوجتنا عن غيرها من الزوجات ؟ .

• نعم ... (بطاعة زوجها) والطريق إلى هذه الطاعة ليس بالمظاهر والأشكال وإنما هو دين ثابت وعقيدة راسخة ، لا يتحقق فى الواقع إلا إذا حققت طاعة ربها فصلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها ، فهذه هى التى تعدُّ نفسها وتهيئ قلبها ، إلى منة الله العظمى وفضله الوفير ، بأن يرزقها طاعة زوجها ، لأن الله من تولاه أعطاه ، وطاعة الزوج عندما تكون من الله هكذا ، تتحول إلى عبادة لله ، لأنها تتوجه بها إلى الله ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وهكذا تضمن الزوجة بطاعتها لزوجها الجنة .

٢ـ برضا الزوج عنها :

• عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة » .

الحرص على رضا الزوج ، فى كل اللحظات ، لأن الموت يأتى فجأة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الحرص على رضا الزوج ، حتى آخر لحظة من العمر ، لتحظى بالجنة ، وتفخر الزوجة بأنها خرجت من الدنيا وزوجها عنها راضٍ .

ولذلك كان فى وصية الأم لابنتها ليلة زواجها : (أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً) ثم تقول : (ثم إياكِ والفرح بين يديه إن كان مهموما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً) .

٣ـ بالاعتراف بحق الزوج :

● عن ابن عباس إن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يارسول الله أنا وافدة النساء إليك : هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن يصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فمالنا من ذلك ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : « أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكم من يفعله » .

● أليس الطريق إلى الجنة إذن بطاعة الزوج والاعتراف بحقه ، والذى يعدل جهاداً فى سبيل الله ، إما الأجر وإما الجنة ، أى فى الثواب والعاقبة .

وقد سبق ما رواه أبو داود والترمذى من قول النبى ﷺ : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

٤ـ بفعلها ما يحب زوجها :

● وهذا وكأنه جامع لكل ما سبق من طاعته وإرضائه والاعتراف بحقه ، فيتوج ذلك كله بفعل ما يحب ولو خالف المألوف عند الناس ، روى أحمد عن كريمة بنت همام قالت لعائشة : ما تقولين أم المؤمنين فى الحناء ؟ فقالت : كان حبيبى ﷺ يعجبه لونه ويكره ريحه وليس يحرم عليكن بين حيضتين أو عند كل حيضة » .

● فما أجمل قول عائشة : كان حبيبى ﷺ وهى التى سئلت عن رأيها ؟! فما كان يحبه النبى ﷺ هو رأيها ، وهو ما تحبه ، فما أحبه إليه كان أحبه إلى نفسها ، مع علمها بأنه حلال ومباح ، ولذلك قالت للسائلة : « ولا يحرم عليكن » ، حقا لا تقدر على

على فعل ذلك من الزوجات إلا زوجة من أهل الجنة .

ثالثاً : زوج من أهل الجنة

١ـ بدينه وخلقه :

● عن أبى حاتم المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، قالوا : يارسول الله وإن كان فيه ! قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ـ ثلاث مرات » الترمذى بإسناد حسن .

● فتكرار النبى ﷺ الإجابة على السائل ثلاث مرات دليل على الأساس الذى عليه يكون الزوج إن أراد أن يتزوج ، لأن هذا الأصل هو الذى تنبع منه الروافد الحياتية الفائقة فى حياة الزوجين ، ويجعلهما يسيران فى طريق الجنة ، قال رجل للحسن بن على : إن لى بنتاً فمن ترى أن أزوجها له ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أغضبها لم يظلمها .

٢ـ بأدائه لحق زوجته :

● روى أبو داود عن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه ، قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن يطعمها إذا طعمت وأن يكسوها إذا اكتسيت ، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبح ولا يهجر إلا فى البيت » .

● يقول تعالى : ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ، بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها** ﴾ البقرة/ ٢٣٣ .

والمولود له هو الأب ، والمقصود بالرزق فى الآية الطعام الكافى ، والكسوة : الملابس ، والمعروف : المتعارف فى عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط .

فقد روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال فى حجة الوداع : « ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وعن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى وولدى إلا ما أخذت منه ـ وهو لا يعلم ـ قال : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » متفق عليه .

● ومن حقها غير النفقة ألا يضرب وجهها ، والضرب فى الأصل منهى عنه تماماً إلا فى حالة نشوز المرأة وهو الاستثناء ، النادر وجوده ، فلماذا نعمم الخاص ونقعّد المستثنى ، وأحسب أن هذا أمر مفهوم للعقل ، حتى فى حال الاستثناء فالضرب غير مبرح ولا يمس الوجه ، أما فى حال الأزواج السعداء ، فليس فى قاموسهم ما يعرف بالضرب وإلا تحولت الحياة إلى حلبة مصارعة تنتهى بالكوارث والمآسى المدمرة .

● ومن حقها ألا يجرح شعورها بأى مس من تقبيح لرأى أو وجهة نظر شكل أو موقف أو خلق أو مسلك أو طريقة أو أسلوب وإنما كما بينّا من قبل بالتى هى أحسن ، وهى لا تتناهى فى الحسن .

● ومن حقها ألا يترك المنزل ولا يهجرها إلا فى البيت ، بل إن الفقهاء حددوا الهجران فى الفراش فقط كنوع أيضاً فى الاستثناء للزوجة الناشز التى تصر على عدم طاعتها لزوجها ، وهى بعيدة عن زوجتنا التى من أهل الجنة ، وهذه لحكمة بالغة حتى لا يجف الحب ولا تنضب المودة ، وتسير الحياة كما هى فى البيت ، فى علاقتهما بالأولاد أو الدوائر المحيطة بالبيت كالجيران والأقارب والأصحاب ، وبذلك يتعود الزوجان إن حدث يسير هجر بينهما ألا يمكث ثوانى فسرعان ما يلتئمان ، فما كان لروحين فى بدن واحد أن يتعاكسا أو يختلفا .

٣ـ بزينته لزوجته :

● يقول ابن عباس : « إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى » فكما أن للزوج حقاً فإن للزوجة حقاً ، خاصة فى الزينة ، يقول القرطبى تعليقاً على قول ابن عباس :

« أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم ، فإنهم يعملون ذلك على الليق والوفاق فربما كانت زينة تليق فى وقت ولا تليق فى وقت وزينة تليق بالشباب وزينة تليق بالشيوخ ، ولا تليق بالشباب » ثم يقول : (وكذلك فى شأن الكسوة) أى أناقة الملابس وأن يكون فى قمة شياكته ، ثم يقول القرطبى ، (ليكون عند امرأته فى زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال) .

ومن زينة الرجال العطور والطيب ورائحة الفم ونظافة الأسنان ، والاستحمام وتقليم الأظافر وتكريم الشعر وغير ذلك مما هو معروف للجميع .

٤ـ بحبه لزوجته :

● من أراد الإجابة على هذه التساؤلات لماذا يحب زوجته ؟ وكيف يحبها ؟ وبماذا يحبها ؟ فعليه أن يرحل إلى بيت النبى ﷺ يجد الإجابة شافية ، وبصورة واقعية وحياة حقيقية ، شهد بها الرجال ، وأقرتها النساء ، من قصة حب لم تتكرر بين النبى ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

● ولعلنا فى هذا الكتاب ومن خلال معايشتنا للسيدة عائشة ، قد لاحت لنا الإجابات فى وضوح وصراحة ، وفى كل الأحوال ، وفى كافة الأوقات ، وعند مراحل العمر المختلفة ، وعند العافية وفى الابتلاء ، وفى الصحة والمرض ، وفى الرضا والغضب ، وعند الأزمات واجتياز العقبات .

● إنه الحب صانع المعجزات فى الحياة الزوجية وبحب الزوج

لزوجته ، يفتح أبواب الجنة ، ليعيش فيها على الأرض قبل الآخرة ، وإلا فالزوجان فى الدنيا كأنهما يحلمان بالسراب ، أو يبنيان قصراً من الرمال ، لأن الأساس مفقود ، ولذلك كان النبى يحذر كثيراً النساء من أن يحولن حياتهن إلى جحيم ، ثم يحرمن أنفسهن من الجنة فى الآخرة ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار ! قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير < ينكرن حق الزوج > » رواه مسلم .

● أيها الزوج أنت بحبك لزوجتك تحلق بالبيت فى جنة من السعادة ، وإلا عرضت نفسك إلى فتنة عارمة ، وشكوى دائمة والسبب فى ذلك أنت ، فتعلم كيف تحب زوجتك ؟ وراجع قراءة هذا الكتاب وكتاب (الحب روح الحياة الزوجية) ، ولكن المهم هو قلبك وعاطفتك ومشاعرك ومودتك وحبك وأشواقك وأسلوبك ، وأراك والحمد لله حريصاً ولبقاً وذا خبرة وتجربة ، وإلا كانت الفتنة فكن على حذر ، عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » متفق عليه .

❤ ❤ ❤

ثامناً
الزوجان والشعور الواحد

■ يتقاسم الزوجان شعوراً واحداً وإحساساً متحداً فالألم والفرح، والحزن والسرور، واليسر والعسر، والضيق والسعة، والقبض والبسط كل هذه المشاعر هى لحظة واحدة يمر بها الزوجان، وتكون النتيجة أن اللسان يلهج بنفس الحروف والألفاظ لتخرج كلمة واحدة فى تعبير واحد عن شعور واحد.

« عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضى الله عنها وارأساه فقال النبى ﷺ: بل أنا ورأساه » رواه البخارى.

■ ومن وسائل المشاعر المؤثرة والخاصة بين الزوجين استئذان الزوج فى كل صغيرة وكبيرة حتى ولو كانت عبادة تؤثر فى مشاعره أو استقبال أحد فى البيت، إنه السحر الذى تتحرك به الزوجة فى مشاعر زوجها، وإنها لتكبر فى نظره وتقديره وإحترامه. عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » متفق عليه.

■ ومن المحافظة على هذا الشعور الواحد ألا يدخل فى شعورهما غريب خاصة مما يفتح أبواباً من المشكلات، لذلك نهى النبى ﷺ أن تصف الزوجة امرأة تعرفها لزوجها، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها » متفق عليه.. فكم من مآسى كانت من هذا السبب الذى يعتبره البعض واهياً لا قيمة له.

■ ويحرص الزوجان على فراش الزوجية دائماً، فإن امتزاج المشاعر ثمرته القرب الدائم والإلتصاق الجميل، ولتمحى كلمة

الرفض، بل يأخذان بكل الأسباب التى تؤدى دائماً بهما إلى الحياة السعيدة المتجددة، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح » متفق عليه. فلماذا تخرج ليلة من الزمن القصير، فنحرم فيها من الهناء والبهجة.

■ وما أعظم حياة الحب بين الزوجين الذى يمتد ويقوى مع الزمن، فهذا هو البيت النبوى وقد تعرض لأعتى المحن ينتصر فيها الحب أخيراً، فحادثة الإفك التى تعرض لها البيت النبوى دليل ماثل أمامنا للمشاعر بين الزوجين وكيف تحرك الحب فى المشاعر؟ وكيف انتصر؟ ... وذلك حينما سألت عائشة أمها عما يقوله الناس... قالت تصبّرها: يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها.

فقالت عائشة: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟ فبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرفأ لها دمع ولا تكتحل بنوم، ثم أصبحت تبكى، تكمل السيدة عائشة تقول: ثم دخل علىّ رسول الله ﷺ فسلم وجلس.. وذلك لأول مرة منذ بدء محنتها - فتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه.

تقول عائشة واصفة مشاعرها الحزينة فى أن يتطرق شك النبى ﷺ تجاهها (فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، وكذلك قالت أمها ثم قالت عائشة: إنى والله ما أجد لى ولكم مثيلاً إلا

كما قال أبو يوسف : ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾ ثم تحولت فاضطجعت على فراشها وهي تعلم أنها بريئة قائلة :(وإن الله مبرئى ببراءتى) ثم قال النبى ﷺ حينما نزلت براءتها : أبشرى يا عائشة، أما الله فقد برأك، فقالت لها أمها : قومى إليه، قالت : لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى برأنى فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم** ﴾ .

الوقفة الأولى : هذا رسول الله ﷺ الزوج الصالح يسأل هذا وهذا ولم يتخذ قراراً انفعالياً، فالحب يصنع المعجزات، فأخذ يستشير أقاربه وأصحابه القريبين بل والناس فى المسجد.

الوقفة الثانية : انقطاع الوحى لمدة شهر، ترك مجالاً للمشاعر، وهذا هوالإمتحان الإلهى للحب، وذلك لنرى كيف يصنع الحب بمشاعر الزوجين، فمع بكاء عائشة وإحجام الأب والأم عن الرد على رسول الله ﷺ فقد نست اسم يعقوب قائلة قال أبو يوسف : ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾ .

الوقفة الثالثة : فى قول النبى ﷺ : أبشرى يا عائشة، وقد حمل البشرى والسرور بذلك والفرح به، ثم دلال أم المؤمنين عائشة فى عدم قيامها لرسول الله ﷺ وهو دلال شعورى جاء فى تعبير صامت تفهمه النبى ﷺ ولم يقف عنده حينما تقول : « والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى برأنى » وهذا كله من ألوان الحب بين الزوجين، فالمشاعر تتأجج، ولا ينتصر فى النهاية إلا الحب، الذى يرفرف من جديد فى بيت المشاعر.

■ ومن جمال طرق المشاعر الزوجية، ولمس جوانب السحر منها، أن تكون الزوجة دائماً فى بؤرة اهتمام الزوج، فهو فى سفره

دائم الإتصال بزوجته للاطمئنان ولا يكبت مشاعره فى أنه يريد أن يتعجل أمره وأن يسرع بالعودة من أجل الراحة مع زوجته، بعد وعثاء السفر وتعبه، فالآلام تمسح عنه بلمسة يدها، والعذاب يختفى برؤيتها، والراحة الكاملة تبدأ بالوصول إلى البيت، وتأمل معى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله» متفق عليه.

■ فإذا غاب الزوج لأى سبب من الأسباب وطالت به الأيام، فمن اللمسات السحرية كذلك أن يعلم الزوج الزوجة بموعد حضوره، ولا يأتيها فجأة، حتى تستعد له، وتحسن استقباله بما يليق بعد طول الغيبة ووحشة الغياب عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرُقنَّ أهله ليلاً» متفق عليه.

■ والمشاعر تتحرك بالصوت الهامس واللمس الدافئ ، والزينة المبهرة، والتهيؤ الجميل، وخيط هذه المشاعر فى يد الزوجين، فكما أن الزوجة لا تصوم إلا بإذن زوجها، حتى لا ينقطع لقاء المشاعر عند الرغبة، كذلك الزوج فى يده تحريك الخيوط التى تؤثر فى مشاعر الزوجة، وبالطبع ليس معنى ذلك أن الزوجين غارقان ليل نهار فى هذا المناخ، وإنما فى توازن الاسلام ووسطيه تعاليمه، بإعطاء كل ذى حق حقه، وهذا يبدو واضحاً من خلال هذا المشهد القصير وما فيه من معانى عظيمة: عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كلّ فإنى صائم، قال: ما أنا بآكل حتى

تأكل فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم (يصلى) فقال له : نم، فلما كان من أخر الليل قال سلمان : قم الآن فصليا جميعاً فقال سلمان : إن لربك عليك حقاً . . وإن لنفسك عليك حقاً . . ولأهلك عليك حقاً . . فأعط كلّ ذى حق حقه . فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال النبى ﷺ : « صدق سلمان » . رواه البخارى .

■ وهذه همسة نبوية فى أذن الأزواج، وهم يخاطبون مشاعرهم عندما يرون ما يكرهون من زوجاتهم، هل ينفعلون؟ هل ترتفع أصواتهم؟ هل تمتلأ مشاعرهم بالكراهية؟ هل ينتقمون؟ هل ييأسون من زوجاتهم؟ هذه الهمسة النبوية تأتى تقول للأزواج ، نعم هذا خلق اكرهه فى زوجتى ولكن فيها أخلاق كثيرة حميدة فهى كذا وكذا، وهنا تتحول مشاعر الكره إلى مشاعر الحب والمودة، وبالتالى نستطيع أن نضبط مشاعرنا وأن نجعلها دائماً تسير فى اتجاه الحب والرحمة والجمال، عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلق رضى منها آخر » رواه مسلم .

❤ ❤ ❤

تاسعاً
الزوجان والحركة فى المجتمع

لسنا بصدد الحديث عن سعادة الزوجين والعلاقة الودية الفريدة بينهما، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا (الحب روح الحياة الزوجية) ، أو الحديث عن مملكة الحياة الزوجية ومواجهة العقبات والمشكلات ومن أراد ذلك فليرجع إلى كتابنا (الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية) ، وإنما حديثنا هنا عن حركة الزوجين معاً فى المجتمع، والتعامل مع أفراد الأسرة وما فى دائرة الأسرةثم مع المجتمع ككل ، من بعض هذه الخواطر:

● **إظهار الحب أمام الجميع :**

وهو لا يحتاج إلى صناعة لأنه يتحرك فى الدماء والوجدان، تتحدث خلجات اللسان بخفقات القلب، وتتكلم النبضات بلسان الحال، دون تكلف أو تصنع، فيما روى البخارى عن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك؟ قال : عائشة، فقلت : من الرجال؟ فقال : أبوها قلت : ثم من؟ قال : ثم عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً » وهكذا نطق الحب لعائشة شاهداً على إظهار الود للزوجة أمام الآخرين بصدق الحال والموقف .

والزوجة كذلك تعبر عن معاناة بُعد زوجها عنها ،وفرحتها بقدوم الزوج وهذا ما حدا بعائشة رضى الله عنها أن تداعب رسول الله ﷺ بعد غيابه شهر، عبّرت عن معاناتها بأنها كانت تعد أيام الشهر عداً، روى البخارى حينما قال النبى ﷺ : « ما أنا بداخل عليهن شهراً » من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت

له عائشة يا رسول الله: إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عداً ؟!!! فقال: (الشهر تسع وعشرون ليلة) .

فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيُّر فبدأ بى أول امرأة من نسائه فاخترته ، ثم خير نسائه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة .

● **إظهار الاهتمام أمام الجميع :**

وهو أيضاً ليس بالتصنع، وإنما الزوجان السعيدان يحترم كل منهما حبيبه، فلماذا يخفيان هذا الاهتمام أمام الناس، إنها فى الحقيقة دعوة خفية إلى الناس وخاصة فى عريشهما ومملكتهما فى تربية الأولاد، ونترك عائشة تروى لنا عن اهتمام النبى ﷺ بها والذى أغضب أباها أبا بكر، فيما روى البخارى من حديث عائشة زوج النبى ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لى فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء .

فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء .

فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فقالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى .

فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا . فقال أسيد بن حضير: ما هى لأول بركتكم يا آل

أبى بكر.
قالت عائشة: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته.
ولن تنس البشرية اهتمام أم المؤمنين خديجة فى أول البعثة وتشجيعها وتثبيتها لرسول الله ﷺ وذهابها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل مما حدا بعائشة أن تغار منها من كثرة ذكر النبى ﷺ لمآثرها ومواقفها .

● التفاهم أساس حديث القلوب :

قراءة الزوجين بعضهما لبعض، لا يكون إلا بعد أن يفهم بعضهما الآخر، مما يجعل العلاقة بينهما علاقة تتحدث فيها القلوب والأشواق والبلاغة الزوجية، وهى الشفرة التى بها يفهم كل منهما الآخر أمام الناس وفى داخل البيت وتأمل معى ما روى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ : «إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى» قالت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك!!!وهو تغبير من بلاغة قلبية عاطفية وجدانية فأنت يا رسول الله فى القلب والروح لا أهجرك أبداً ولو لحظة واحدة، إنما هو هجر باللسان للاسم وحسب، بهذا التفاهم الراقى المعبر عن حقيقة الحب يكون التعامل.

● سعادة البيت ترفرف على المجتمع :

الزوج السعيد بزوجته ينطلق فى المجتمع بروح فاعلة تجعل الناس مبتهجين به، وربما جاءوا إليهما بالهدايا من أجل أن تزيد الروابط وتقوى المحبة، فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بها أو يبتغون

بذلك مرضاة رسول الله ﷺ .

لقد تأملت فى موقف الناس ومدى علمهم بسعادة النبى ﷺ وهو إلى جوار عائشة فيفرحون ويبتهجون ويأتون بهداياهم مرضاة إلى رسول الله ﷺ .

وهذه مهمة الزوجين معاً أن يصنعا السعادة لكليهما، وينتظرا ماذا يفعل الناس معهما؟ من روابط وعلاقات ومودة وصلات .

● **مراعاة الزوجين لعلاقتهما بالمجتمع :**

لكل من الزوج والزوجة أصحاب وصواحب، يأنس معهم وتأنس معهن، تجمعهما ظروف واحدة مثل السن أوالعمل أو الهواية أو غير ذلك وكل منهما يحب أن يراعى هذه الصلات وأن تستمر بل تقوى ويعمل على دوامها وهذا ما ترويه السيدة عائشة فيما رواه البخارى قالت : « كنت ألعب بالبنات [العرائس وهى لعب البنات] عند النبى ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه (يتغيبن حياء منه وهيبة)، فيسربهن إلىّ (يرسلهن) فيلعبن معى » .

وإن كان الموقف مناسب لسن أم المؤمنين آنذاك ولكن الدرس ممتد لكل المواقف ولكل الأعمار فلكل عمر علاقاته واهتماماته، وما أجمل أن تدفع الزوجة زوجها إلى الحركة فى المجتمع، وكذلك الزوج، فالأعمال الاجتماعية كثيرة وواسعة وكلها تعود بالنفع على البيت فى تكوينه وتفاعله مع المجتمع ككل.

❤ ❤ ❤

الموضوع	الفهرس	الصفحة

أولاً: صناعة الحياة الزوجية:

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

♥ ♥ ♥

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٧٥٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977-5339-79-0